الغوريلا

تأليف: يوجين أوسيل
ترجمة: د. محمد إسماعيل الموافي
مراجعة: د. طه محمود طه

PENGUIN PLAYS

Eugene O'Neill

The Hairy Ape

المشهد الرابع

نفس المشهد الاول ـ بعد نصف ساعة من ابتدائه .

المشهد الخامس

الشارع الخامس فى نيويورك ـ بعد مرور ثلاثة أسابيع .

المشهد السادس

الجزيرة القريبة من نيويورك ـ فى الليلة التالية .

المشهد السابع

فى المدينة ـ بعد مرور شهـــر .

المشهد الثامن

فى المدينة ـ فى عشاء اليوم التالـــى .

الزمن ـ الوقت الحاضر

شخصيات المسرحية

روبرت سميث ، يانك	Robert Smith "Yank"
بادى	Paddy ,
لونـــــج	Long
ميلدرد دوجلاص	Mildred Douglas
عمتهـــا	
المهندس البحرى الثانى	
ســـجان	
سكرتير المنظمة	
قاطن [illegible] ساعة ال[illegible]	

المشاهد

المشهد الاول

عنبر نوم الوقادين فى عابرة محيطات ـ بعد ساعة واحدة من اقلاع الباخرة من نيويورك •

المشهد الثانى

احد جوانب المركب المخصص لنزهة الركاب ـ بعد يومين من بدء الرحلة والوقت صباحا •

المشهد الثالث

عنبر الافران • بعد المشهد السابق بدقائق •

منتصبين ، وهذا مما يعزز أثر تقوس ظهورهـــم . ذلك التقوس الذى يبدو في وقفتهم وينتج بالطبع عن العمل بالجاروف وعن زيادة النمو في عضلات الظهر والكتفين . ويجب أن يكون هؤلاء العمال مشابهين لتلك الصورة التى نتوقع أن يكون « انسان نياندرثال » على هيئتهـــا . وصدورهم جميعا مغطـــاة بالشعر وأذرعهم طويلة ذات قوة جبارة وجباههم غائـــرة من تحتها عيون ضيقة شرسة حانقة . وهم يمثـــلون جميع أجناس الرجل الابيض . ولكنهم فيما عـــدا فروق طفيفة في لون الشعر والجلد والعينين كلهـــم متشابهون في الصورة .

(يرتفع الستار على ضجة . و « يانك » جالس في مقدمة المنظر وهو يبدو أعرض وأشرس وأشد قوة وأكثر فظاظة واعتدادا بنفسه من الآخرين . وهـــم يحترمون فيه تفوق قوته الاحترام النابع من الحقـــد والخوف . الا انه يمثل بالنسبة لهم التعبير عن الذات وهو المثل الاعلى لهم والفرد الأوحد من بينهم الذى وصل الى تمـــام نمـــوه) .

أصـــوات : أنت هناك ، اعطنى شرابا .
خذ بلـــة ريـــق !
في صحتـــك !
في صحتك
في صحتك
سكران كأمير ، الله يأخذ أجـــلك .

المشهد الأول

عنبر الوقادين في احدى عابرات المحيط بعد ابحارها من نيويورك بساعة في رحلة عبر المحيط الاطلسى . على جميع جوانب العنبر ثلاث طبقات من الأسرة المعدنية الضيقة بعضها فوق بعض . و في الخلف مدخل وعلى الأرض مقاعد مستطيلة (دكك) امام الاسرة . والقاعة غاصة بعمال يصيحون ويلعنون ويضحكون ويغنون . صخب مختلط في مبتداه لايلبث ان يتضخم فيتحول الى وحدة ثم الى معنى فيه تحدى الحيوان الحبيس في قفص تحدى المشدوه الهائج الحائر . العمال كلهم تقريبا سكارى وزجاجات عدة تدور من يد الى يد . والجميع يلبسون سراويل من العبك واحذية ضخمة قبيحة وبعضهم يلبسون صدارى والغالبية عراة حتى الخصر .

وتناول هذا المنظر وأى منظر آخر في هذهالتمثيلية يجب ألا يكون تناولا طبيعيا بأى حال . فالأثر المطلوب هو لمكان مندس في جوف مركب يحيط به من جميع الجهات صلب لا مع كأنه قضبانسجن ، وصفوف الاسرة ولا سيما الأعمدة التى تحملها تتشابك كأنها ضلوع قفص من حديد ، والسقف مطبق على رؤوس الرجال فلا يستطيعون الوقوف

(يأخذ أحدهم في الغناء بصوت أجش)
« البيرة ، البيرة ، ما أمجدهـــا !
افرغوها في البطون حتى نهايتها » .

يانـــك : (يتنبه لأول مرة الى الصخب من حوله . ويلتفـــت حواليه بالتهديد — ويقول بلهجة الآمر المحتقر لهم) اخرسوا . من اين هذا اللغو عن البيرة ؟

البيرة في داهية . البيرة مشروب الحريم والهولانديين أما أنا فأفضل مشروب فيه سلطنة . واحد منكـــم يأولاد يأتيني بمشروب . (تقدم له عدة زجاجات بلهفة . يعب عبة شديدة من احداها ، ويستبقـــى الزجاجة في يده وهو ينظر متحفزا الى صاحبها الذى يسارع بالتسليم بما فعله « يانك » من طغيـــان على الشراب ثم يقول)

لا بأس يا « يانك » خلها معك واشرب منها مـــرة أخرى) « يانك » مرة اخرى يدير ظهره في احتقار لجمهور الجالسين . يتلو صمت متحرج يستمر ثانية واحدة ثم تنطلق الاصوات) .

أصـــوات : لابد أننا الآن نعبر رأس الخطاف .

بدأت الباخرة تتدحرج اليه .
ستة أيام في هذا الجحيم — وبعدها نصل سوثهاميتون.
والله اني لأتمنى لو أن أحدا حل محلى في دوريتى الأولى
هل أصابك دوار البحر ، يا « لطخ » ؟
اشرب وأنت تنساه .
ماذا في زجاجتـــك ؟

في صحتك .

في صحتك .

رجع الزجاجة ، لعنك الله .

انه يصبها في حلقـــة .

أنت يا أكال الضفادع ، أين كنت ياملعـــون ؟

لا توريـــن .

ضربته في شدقه فهشمته والله .

جينكينز ــ الأول ــ انه لخنزير قـــذر ــ

شواه العساكر ــ وأنا هربت ــ

أفضل البيرة . انها لا تجعل الرأس يدور .

إني أقول لك انها عاهرة . سرقت نقودى وأنا نائم ــ

الى جهنم كلهـــن .

انت كذاب أشر .

اعد هذا مرة أخرى(هرج . اثنان على وشك انيقتتلا فيخلص أحدهما من الآخـــر) .

لا نريد مشاحنـــات .

هذه الليلـــة ــ

لنر أينا الأقـــوى .

هولا نـــدى ملعـــون .

الليلة على السطح عند المقدمة .

أراهن على الهولندى .

اؤكد لك أنها ستكون علقة ساخنة .

اخرس ياولـــد .

لا نريد شجارا يازملاء . ألسنا رفاقـــا ؟

(يأخذ في الغناء بصوت رقيق فيه بعض الخنف يبعث
على الأسى) ويسكى ، ياروح الحياة .
ويسكى ، ياجـــوني .
(الجميع يرددون)
ويسكى ، ياروح الحياة .
ويسكى ياجـــوني .
(الجميع يرددون)
آه ، أطار الويسكى صواب أمي .
ويسكى ياجـــوني .
آه ، الويسكى أطار صواب أبي .
ويسكى لجـــوني .

يانـــك : (ملتفتا حواليه مرة أخرى بازدراء) اخسأ . هـــذا لحن قديم قـــدم السفن الشراعية . وكل هذا السخف قد ولى زمانه . مفهوم ؟ وانت أيضا أيها القيثـــارة القديمة الملعونة أنت أيضا قد ولى زمانك وان كنت لا تدرى . دعك من هذا . مفهوم . أريحونا . كفوا عن هذا الصخب (يفغر فاه بابتسامة من لا يصدق) ألا ترون أنني أحاول أن أفكر ؟

الجميـــع : (يرددون الكلمة بعده باللهجة نفسها ، لهجة الساخر العابث غير المصدق) تفكر . (الكلمة كما ينطقونها جماعة لها رنين معدني منحس كأن حلوقهم أبواق فوتوغرافية . يتلوها ضحك عام صاحب خشـــن كأنه نبـــاح كلاب) .

أصـــوات : يانك ، لا تصدع رأسك بالتفكير .

جـــن .
هذا شراب الزنوج .
أبسنث ؟ انه مخدر . يا أكال الضفادع . عقلك سيغيب
كوشـــون .
وسكى ، الويسكى هو جواز المرور للسعادة .
أين بـــادى ؟
غالب عليه النوم .
بادى ، غننا أغنية الويسكى .

(الجميع يتجهون بأنظارهم الى ارلندى هرم اكسبت وجهه السنون حكمة الشيخوخة يغالب النوم وهو في شدة السكر جالسا على مقعد الى الامام ووجهه قريب الشبه جدا بوجه قرد بكل ما في ذلك الحيوان مـــن الحزن والاسى الصابر مجتمعان في عينيه الضيقتين) .

بات أيها المطرب الشهير ، غننا الأغنية .

انه تقدم في العمر ومابقيت له طاقة على الشراب .
انه في غاية السكر .

بـــادى : (يفتح عينيه بصعوبة وينهض على قدميه حانقا يترنح ذات اليمين وذات الشمال ويتشبث بطرف سرير) . ما حدث أبدا أن السكر منعني عن الغناء . أنا أحس بالرغبة في الغناء فقط عندما أغيب عن هذا العـــالم . (بنوع من الامتعاض ولكنه امتعاض حزين) هـــل تحبون أن أغنى لكم « ويسكى ياجـــوني » ؟ هـــذه الاغنية ، أهذا ما تريدون ؟ طلب غريب من وجوه كالحة . كان الله في عونكم ، ولكن ماذا يهم ؟

بالبيت ؟ (بفخر) أنا هربت من بيتنا وأنا صبي ولم أندم ولم اخسر بل كسبت . هكذا شأني . لم يكن البيت عندي الا علقة وراء علقة . من ساعتها لم يمسني أحد بأذى .

وتستطيعون أن تراهنوا على صدق هذا بثيابكم وأنتم ضامنون الرهان . ألا لأحد منكم رغبة في أن يجرب ؟ أظن لا (بصوت أكثر استرضاء ولكن اللهجة مايزال بها ازدراء) تقول ان بنات تنتظرك . تغور . كل هذه وساخات . كلهن عاهرات . هن لا ينتظرن أحدا . أتفهمني عاملهن بأشد الاهانة . هذه طريقتي . في داهية كلهن . كلهن عاهرات . من أولهن الى آخرهن .

لونـج : (وهو في أشد السكر يقفز واقفا على مقعد في حالة اهتياج ويلوح بزجاجة في يده) يا رفاق اسمعو الى . كلام يانك هذا صحيح . يانك يقول ان المركب هذا هو دارنا ويقول ان دارنا هذا جحيم . وكلامه صحيح . هذا جحيم . ونحن نعيش في جحيم يارفاق وحتما سنموت في هذا الجحيم (يرفع صوته بزئير) وأنا أسألكم هذا السؤال . الذنب على من ؟ ما هو بذنبنا ؟ اننا لم نولد في هذا الغم والشقاء . الناس كلهم يولدون احرارا سواسية . وهذا مكتوب في الانجيل ال . . . يارفاق . . . ولكن من منهم يبالى بالانجيل ؟— أعني هؤلاء الخنازير الكسالى المنتفخون اصحاب الكروش مسافرو الدرجة الاولى . الذنب ذنبهم .

تصاب حتما بالصداع .
أهم ما في كلمة فكر انها تتفق في القافية مع «اسكر» .
ها ها ها !
اســـكر ولا تفكـــر .
اســـكر ولا تفكـــر .
اســـكر ولا تفكـــر .

(عدد لا يحصى من الاصوات أخذت تردد العبارة وهم يضربون الارض بأرجلهم ويلكمون المقاعـــد بقبضات أيديهم) .

يانـــك : (يعب عبة كبيرة من قارورته — ويقول وقد عاد بعض البشر اليه) حسنا . اقمعوا الصوت . فهمت من مـــرة واحدة .

(يهدأ الصخب . يأخذ في الغناء ، صوت يغلب عليه السكر ، نشوان لا هو بالعالى ولا هو بالمنخفض) .

بعيدا بعيدا في كندا .
بعيدا عـــبر البحـــار .
تنتظرنى فتـــاة ولهـــى
تبنى لى بحبهـــا دارا .

يانـــك : (وقد بلغ ازدراؤه درجة وحشية) اخرس ياغبى ياقـــذر . من أين تأتى بهذه الوساخات . دار ؟ دار ؟ جهنم . انا سأبنى لك دارا . أنا سأقصف أجلك . دار يادار ! في داهية البيت والدار ! من أين تأتى بهذه الوساخات ؟ هذه هى الدار . مفهوم ؟ ماذا تريد

دخل هؤلاء المترهلين ركاب الدرجة الاولى — ما دخلهم بحياتنا نحن العمال ؟ قل لى ، ألسنا أقوى منهم بدنا ؟ ان الواحد منا في امكانه بأصبع واحدة أن يمحو كل تلك العصابة من اللصوص المترفين . هات واحدا منهم هنا في عنبر الافران وانظر ما يحدث له ؟ يحملونه من هناك على نقالة . هؤلاء لا يساوون شيئا مجرد ريش منفوخون على « مفيش » . من الذى يسير هذا المركب ؟ ألسنا نحن معشر العمال الذين نفعـــل هذا ؟ واذن فنحن الاصل . أليس كذلك ؟ نحـــن الأصل وهم لا شيء . هذا كل ما هنالك .

(يجيب بالموافقة صوت الجماعة مدويا . فيســـتمر يانك) أما ما يقال من أن حياتنا جحيم فهو تخريف . انت يالونج بلا شجاعة . هذا هو الصحيح . شـــغلنا هذا شغل رجال مفهوم ؟ الشغل هذا هو الاصل . انه هو الذى يسير هذا المركب . والهزلاء خير لهم أن ينسحبوا منه . أنت هزيل ، فاهم ، أنت جبـــان . جبـــان أنت .

أصـــوات : (بخيلاء واضح عليهم)

كلام جميـــل .

شـــغل رجال .

الكلام هين يالونج .

لم يقـــدر أبدا أن يتماسك .

داهيـــة تأخذه .

يانك كلامه صحيح . نحن الذين نسير المركب .

القونا في الحضيض مستعبدين للقمة العيش في احشاء مركب ملعون نتصبب عرقا ونحترق ونبتلع تراب فحم . الذنب ذنبهم . ذنب طبقة الرأسماليين اللعينة .

(كانت قد بدأت بين الوقادين همهمة استياء وازدراء ما انفكت تتدرج في الازدياد حتى وصلت الى حـــدا مقاطعة الخطيب بعاصفة من الصفير والزفير والتحقير والتشويش والقهقهة الخشنة) .

أصـــوات : ســـد فمك .

اخـــرس .

اقعـــد .

غـــر .

ياغبي ياملعون . (الخ)

بانـــك : (ينهض واقفا وينظر الى لونج شزرا) اقعد قبل أن أقضي أجلك . (لونج يسارع الى الانزواء . ويانك يستمر بازدراء) الانجيل ، ياسلام . طبقة الرأسماليين ما شاء الله . ابصق على هذا السخف الذى يسمونه جيش الخلاص . وأنت تفعل مثلما يفعلون . الواحد منهم يعمل له منصة من صندوق صابون ويؤجـــر له صالة ويعظ الناس بالجنة والثواب وحسن المآب . ياسلام . يريد أن يقذف بنـــا في أحضان المسيح ، ياسلام . دعك من هذا . كم سمعت من أمثالك . وكلكم على ضلال . تريد أن أقول لك رأيي ؟ لاخير فيكم جميعا لأحد . أنتم جبناء . فقاقيع . قبض ريح لا رجولة فيكم . مفهوم ؟ انتم جبناء ضعاف . ما

كالأعلام تناطح السماء وعليها فتية أشداء رائعون — فتيان من ابناء البحار كأنهم ولدوا منها — ما كان أتقى جلودهم وما كان أصفى عيونهم — ظهور مستقيمة وصدور عريضة . كانوا حقاً جسورين وكانوا حقاً شجعان . كنا مثلاً نقلع من نيويورك نيمم صوب الجنوب فندور حول « رأس هورن » فنبحر مع نسمـــات الفجـــر الرقيقة ونحـــن نهتف بنشيد لا أثر فيه للهموم . واليابس من ورائنا يتقهقر ثم يغيب ونحن لا نبالي به نضحك ولا نلتفت أبداً إلى الوراء . كان يعنينا اليوم الذي نحن فيه إذ كنا أحرارا طلقاء . ففي مذهبي واعتقادي أن العبيد وحدهم هم الذين يعنيهم أمر اليوم الذي مضى ويعنيهم أمر الغد حتى تدركهم الشيخوخة كما أدركتني (كأنه في غمرة روحية) آه ليت مركباً ينساب صوب الجنوب مرة أخرى والرياح التجارية تدفعه حثيثاً بقوتها عبر الأيام والليالي . وشراعها عليها مبسوط . الأيام والليالي . ليالي كنت ترى فيها الزبد في جرة السفن وقد اشتعل ناراً والسماء من فوقنا تتألق بالنجوم وتومض وربما كان القمر بدراً . حينئذ كنت ترى السفينة وهي تشق عباب الليل الأغر وقد تطاولت بشراعاتها الفضية البيضاء إلى عناق السماء ولا مـــن همس على سطحها ونحن جميعاً غارقـــون في رؤى حتى ليخيل للواحد منا أنها لم تكن سفينة من الواقع بل سفينة من الخيـــال كسفن الهولندي الطائر التي يقولون أنها دائماً وأبداً

والله ، ان يانك يقول الحق .
لا نريد أحدا يتباكى علينا .
القــاء الحطب .
اخــرجوه .
جبــان .
ارمــوه في البحــر .
سأطير له أســنانه .

(يتجمهرون حول لونج مهددين)

يانــك : (وقد اعتدل مزاجه بعض الشيء — يقول باحتقار) دعكم من هذا . اتركوه وشأنه . إنه لا يستحق كلمة. اقبلوا على الشراب . في نخبكم . وليكن صاحب هذا من يكون . (يجترع جــرعة طويلة من زجاجته ويشرب معه الجميع . وفي غمضة عين يعود التحاب والمرح بينهم فيصخبون ويضرب بعضهم بعضا على الظهور الخ بقصد الانبساط) .

بــــادى : (وقد كان طيلة الوقت في دوخة حزينة وعيناه شبه مغمضتين وفجأة ينطلق بصوت يفيض بشجــن قديم) تقول اننا اصلاء في هذه الباخرة ؟ تقــول اننا نسير هذه الباخرة ؟ إذن فليرحمنا العلي القدير . (ثم يدخل صوته في نواح كنواح الثكالى ويهــز جسمه إلى الأمام وإلى الخلف على المقعد فيحدق فيه الرجال مأخوذين متأثرين على الرغم منهم) آه ليتنى أعود إلى شبابي وأيامه الجميلة . واأسفاه على . في الأيام الخوالي كانت السفن بديعة رائعة — جوار

هواء طيب – وصدورنا يخنقها تراب الفحم – وظهورنا تنكسر وقلوبنا تنفطر في جحيم الغرق – نغذى الاتون اللعين بالفحم ونتغذى نحن على ترابه – يخيل لي أننا وهذه القضبان الحديدية مطبقة علينا تحول بيننا وبين السماء .– يخيل لي أننا مثل القرود في حديقة حيوان (يضحك بصوت خشن) فلتتولاك الشياطين يا « يانك » ألهذا تحب أن تنتمي ؟ أتريد أن تجعل من لحمك ودمك عجلة تسير بها القاطرة ؟

يانك : (وكان ينصت في غير تصديق فقال بصوت كنباح الكلب) مؤكد . هذا رأيي . وما العيب في ذلك ؟

بادى : (وكأنه يخاطب نفسه في حزن عميق) أيامي ولت وياليت موجه عارمة مشعشعة بالشمس إلى الأعماق تجرفني معها يوماً وأنا قاعد أحلم بأيامي التى ولت .

يانك : أنت مخبول . (يهب واقفاً ويتقدم نحو بادى مهدداً – ثم يتوقف وهو يغالب صراعاً غريباً في نفسه – ينزل يديه إلى جانبيه – ثم يقول بإزدراء) كفى . فما أنت إلا حشرة أصغر عقلاً من العصفور وهذا الهراء الذي كنت تهرف به لا بأس به . ولكن أيامه فاتت . مفهوم ؟ وأنت لم يعد لك مكان بعد . فاهم ؟ أنت لا تعى كلامي هذا . لقد شخت . (بامتعاض) قل لي ما يمنعك من آن لآخر أن تخرج للهواء ؟ ألا تستطيع ؟ تعال لترى الذي جد في العالم منذ أخذت تنعق . (ينطلق صوته بعنف فجأة ويزداد

تجوب البحار دون أن تعرج على ميناء . وتلك الأيام أيضاً . شمس دافئة تسطح على سطوح نظيفة . شمس ترسل الدفء في العروق وريح تهب على أميـام من مياه لامعة بالخضرة كأنها حقول ريح كأنها شراب للرئتين طهور . أيام كانت مليئة بالعمل ؟ نعم وعمل شاق . ولكن من ذا الذي كان يضيق بالعمل الشاق؟

كنت تعمل ولا حاجب بينك وبين السماء . كان عملاً يحتاج إلى مهارة وإلى فتوة . فإذا انقضى النهار كنت أقعد أدخن غليوني على المهل . وربما كـان المنظر الذي أمامي لأرض اليابس يعلو شيئاً فشيئاً ونرى الروابي في أمريكا الجنوبية ورؤوسها البيض صبغتها الشمس بصبغة الغروب والغمـام يعدو من حواليها (النشوة تذهب منه ويستمر في شجن) ولكن ما فائدة كلامي ؟ إنـه همسات محتضر (متوجهاً بالكلام إلى يانك بغضب) في تلك الأيام فقط كان البحارة ينتمون إلى المراكب . أما الآن فلم يبق أثر لهذا . في تلك الأيام كانت السفينة قطعة من البحر وكانت البحارة قطعة من السفينة وكان البحر يجمعهم يؤلف بينهم (باحتقار) أهذا مركب — المركب الذي تريد لنا أن تمتزج به نفوسنا ونكون قطعة منه يا « يانك » — بدخانه الأسود الذي الذي يلطخ به السماء ويلطخ به السطوح — وبقاطراته الملعونة التى تهز وترج وتخص — بغير لمحة ولو واحدة من الشمس — بدون نفس ولو واحد مـن

مفهوم ؟ صاحبنا يقول ان عنبر الأفران عبارة عن جهنم . وليكن . إنه لا يقدر على العمل في جهنم إلا رجل . مؤكد إنها جهنم وجهنم هي المناخ الذي أفضله . أنا ألتهم جهنم وأسعى عليها . أنا الذي أشعلها وأحميها . أنا الذي أجعلها تتأجج وترعرع . أنا طبعاً الذي أحركها . ولولاي كل شيء يتوقف . يخمد ثم يموت . تفهموننى ؟ الصوت والدخان والآله التى تسير الحياة كل هذه كانت تتوقف لولاي وتصبح لا شيء . إني أقول إن كل شيء يعمل على تحريك العالم يحتاج بدوره إلى شيء آخر يحركه . فاهمون ؟ فأنا لا أتحرك بدون محرك . مفهوم ؟ وإذن وصلتم إلي . أنا قاعدة القواعد وأساس الأسس ولا شيء بعدي . أنا النهاية وأنا البداية . إنما أحرك شيئاً فيتحرك العالم . هذا الشيء هو — أنا — أنا الجديد الذي يمحو القديم . أنا السر في الفحم الذي يجعله يشتعل . أنا البخار وأنا الزيت في الآلات . أنا الذي أجعلك تسمع صفيرها . أنا الدخان . أنا القطارات السريعة والبواخر وصفارات المصانع . أنا السر في الذهب الذي يحيله دراهم ودنانير . أنا الذي يجعل الحديد صلباً . الصلب . الصلب كناية عن كل شيء أنا الصلب أنا الصلب . أنا صلب كل شيء . أنا العروق التى في الصلب — القوة الباطشة فيه . (يدق الأسرة المعدنية بقبضته وهو يقول هذا . فيحذو حذوه البحار وقد رفعتهم خطبته إلى درجة محمومة من تمجيد الذات . فتسمع

هياجه) حقاً إني عنيت ما قلته . كيف أدعك تتكلم؟ أنت يا أيتها القيثارة البالية ؟ وأنتم أيها الرجال . انصتوا لي لحظة — لا بد لي أن أتكلم . مفهوم . أنا الأصل ولي مكان ، أما هو فلا مكان له . هو من الأموات وأنا من الأحياء إذا سمعوا لي . أنا بالتأكيد قطعة من الآلات . ولم لا ؟ أليست تـــدور ؟ أليست الآلات هي السرعة ؟ أليست السرعة الســـاحقة ؟ خمس وعشرون عقدة في الساعة . سرعة لا بأس بها ؟ هكذا الزمن الحديث وليس لغيره مكان . أما صاحبنا هذا فقد ولى زمانه . وكل ذلك الخلط والخبل عن الليالي والأيام ، كل ذلك الخلط والخبل عن النجوم والأقمار ، كل ذلك الخلط والخبل عـــن الشموس والرياح والهواء الطلق ، الخ ، فالى حيث ألقت . إنها أحلام ومخدرات . إنها ضرب عـــلى وتر الماضي . وهذا ما يفعله صاحبنا ، لقد شاخ ولم يعد له مكان . ولكن أنـــا — أنا شاب . أنا في عنفوان القوة . أنا أتحرك معه . هو — هلى تفهمونني . أعنى الشيء الذي هو بمثابة الصميم من كل هذا . هذا الشيء (كالقطار) يهرس كل ذلك الهراء السخيف الذي كان يقوله . ينسفه . يحطمه . يمحوه من على وجه البسيطة . هذا الشيء هو — هل تفهمونني — الآلات والفحم والدخان وغيرها وغيرها وصاحبنا هـــذا يبلع تراب الفحم ويعجز عـــن أن يتنفس . ولكنني لا أعجز عن شيء . مفهوم ؟ هذا هواء نقي في نظري . بالنسبة لي هذا غذاء لأني إنسان حديث ،

الذي نريده . الآن بدأت تتفهم شيئاً . عدم المبالاة بأحد . هذا هو المخدر المطلوب . في ألف داهية كلهم وطظ في أى واحد يهمه الآخرين . أنا ملك في نفسي . مفهوم ؟ (تسمع أجراس ثمانية مكتومة الصوت ترن من خلال الجدران المعدنية كأن ناقوساً ما نحاسياً ضخماً قد حشر في جوف السفينة . يهب الرجال واقفين بشكل آلي ويخرجون من الباب في طابور واحداً بعد واحد كأنهم مساجين مشدودون في سلسلة واحدة . « يانك » يضرب كفاً على ظهر « بادى ») .

الوردية أيها القيثارة البالية (ثم يمضى بسخرية) تعال . انزل إلى جهنم وكل من تراب الفحم واشرب من حرارته . هذه طبيعة الشغل . تظاهر بأنك تحبه . الأحسن أن تفعل هذا ، وإلا اشنق نفسك .

بادى : (في تحد مرح) في داهية الشغل . لن أحضر هذه الوردية وليجازوني . ولعنة الله عليهم . أنا لست عبداً مثلكم . سأبقى هنا على راحتى أشرب وأفكر وأحلم الأحلام .

يانك : (باحتقار) تفكر وتحلم . وكم تكسب بالتفكير والأحلام ؟ أنظر إلينا . ألسنا نتحرك . وننتج السرعة ؟ أما أنت فتمثل الضباب والغموض ونحن

للمعدن ضجيجاً يصم الآذان ومن خلاله ينعر صوت يانك بما يلي) يقولون عنا : إننا عبيد . كلام فارغ . نحن الذين نشغل المصانع كلها . أما هؤلاء الأغنياء الذين يظنون أنهم شيء هم في الواقع لا شيء ، ولا مكان لهم . ولكنا معشر الرجال نحن الحركة نحن القاعدة . نحن كل شيء (منذ بدأت خطبة « يانك » و « بادى » يرتشف جرعة أثر جرعة بذعر في بادىء الأمر كأنه خائف من الإنصات ثم يرتشف بيأس كأنه يحاول أن يميت حواسه وأخيراً بلغ ذروة السكر فلم يعد يبالي : يلمحه « يانك » وهو يحرك شفتيه . « يانك » يسكت الصخب بزعقة) هيه . هيه يا أنفار . كفوا . انتظروا لحظة . المطرب المخبول يحرك شفتيه ، يود أن يقول شيئاً .

بادي : (وقد أخذ صوته يسمع — يدفع رأسه للوراء وينفجر ضاحكاً في سخرية) هأ — هأ — هأ — هأ — هأ .

يانك : (كأنه يستعد لتسديد كلمة — يقول مزمجراً) حاسب وانظر على من تنبح كالكلب .

بادي : (وقد طابت نفسه فأخذ يغنى أغنية « طحان نهر دى »)

أنا لا أبالي بأحد لا أبالي

ولا أحداً بي يبالي لا ولا يبالي

يانك : (وقد طابت نفسه هو الآخر في لحظة فيقاطع « بادى » بربته على ظهره العاري) مثل هذا الغناء

نشق طريقنا فيه . نفتته ونسحقه . ٢٥ عقـــــدة في الساعة تذكر . (يولي ظهره لبادى باحتقار) أوه . إنه يثير في نفسي الغيثان . أنت لم يعد لك مكان (يخرج من باب خلفى بخطى واسعة وقد تـــرك خلفه بادى يدندن ويغالب النوم) .

(ستـــار)

* * *

الخمران مخضبة بالدهان الاحمر . وتبدو الفتاة كأن حيوية عنصرها قد غارت حتى من قبل أن تحملها أمها في بطنها بحيث لم تعد تمثل طاقته الحيوية وانما اصبحت تعبيرا عن مجرد مجموع الصفات المصطنعة التى تكتسبها الطاقة أثناء عملية تشغيلها وتصريفها) .

ميلدرد : (تنظر للسماء وهى تتكلف وجه الحالمة) ما أبدع الدخان الاسود يصعد الى السماء في حلقات — ألا ترينه جميلا ؟

العمة : (دون أن تنظر الى أعلى) إننى اكره الدخان من أى نوع كان .

ميلدرد : كانت والدة جدتي تدخن غليونا — غليونا من الفخار

العمة : (بحدة) سوقية !

ميلدرد : كانت أبعد ما تكون عن السوقية . ومع ذلك فالزمن كفيل بصقل الطين .

العمة : (تتظاهر بمجرد السأم ولكنها غاضبة) أهذا ماحصلته في الكلية من علم الاجتمام ؟ هل علموك أن تقومى بدور الغولة تنبشين عظام الموتي في كل مناسبة ؟ لم لا تتركين جدتك تستريح في قبرها ؟

ميلدرد : (كأنما تحلم) بغليونها الى جوارها تدخنه في الجنة ؟

العمة : (بحقد) حقا انك ولدت لتكوني غولة . بل ان صورتك أصبحت تشبه الغولة ياعزيزتي .

ميلدرد : (بصوت لا أثر فيه لأى عاطفة) أنا أكرهك ياعمتى (تنظر اليها نظرة فاحصة) أتدرين ما الذى يذكرني

المشهد الثاني

(مضى يومان على حوادث المشهد الاول . قطاع من الجانب المخصص لنزهة الركاب على أحد سطوح الباخرة .

(ميلدرد دوجلاص وعمتها تشاهدان مسترخيتين على كرسيين من كراسى السطوح . أولاهما فتاة في العشرين نحيلة رقيقة ووجهها المليح الشاحب تفسده نظرتها الصادرة عن شعورها الذاتي بالتعالى على الغير وازدرائهم . يبدو عليها القلق والعصبية والسخط والسأم والتبرم بالانيمياء التى تعاني منها . أما عمتها فعجوز سمينة منفوخة ومتكبرة . وهى نموذج لطبقتها تكمله تجاعيد ذقنها والنظارات ذات الاذرع الطويلة. مبالغة في الاناقة متناهية بالثياب كأنها تخشى أن وجهها وحده لن يكفى للدلاله على مكانتها الاجتماعية . وثياب ميلدرد كلها بيضاء .

الذى يجب أن ينقله المنظر أثر من حياة البحر الجميلة الأخاذة من كل جانب — سيل دافق من أشعة الشمس على ظهر المركب الذى يهب عليه هواء البحر البكر وفي وسط هذا المنظر يشاهد هذان الشكلان المتنافران والمتكلفان الخاليان من الحيوية والانسجام بحيث تشبه العجوز كتلة من العجين

الاطلاع على أحوال النصف الآخر من المجتمـــع . أرجو أن تنسبي لى على الاقل بعض الفضل في التماس الصدق والاخلاص في هذا . أود أن أساعد الفقراء . أود أن يكون من ورائي خير للناس . هل الذنب ذنبي أنني لا أدرى كيف . أود أن أكون مخلصة أريد أن أضع يدى على الحياة في أى موضع للحياة . (بمرارة المتعبة) ولكن وا أسفاه لم تتوفر لى لا الحيويـــة ولا الصدق . لأن الحيوية والصدق كلاهمـــا زالا من أسرتنا قبل أن أولد . انظرى الى افران صهر الحديد التى أقامها جدى . أليست نيرانها تصل الى عنـــان السماء تذيب الصلب وتصنع الملايين — وانظرى الى أبي وبفضل عمله تشتعل المدافيء والمواقد في البيوت ويجمع المزيد من الملايين — ثم انظرى الى أنا الهزيلة أقف في ذيل الصف . أنا الناتج المستهلك في عمليـــة صهر الصلب . شأني في ذلك شأن الملايين المكدسة . وبالأحرى لقد ورثت الصفة المكتسبة للمنتجــــات الفرعية أى أرث الثروة ولكنى لم أرث شيئا مـــــن حيوية الصلب ولا من قوة الصلب الذى خلق الثروة. ولدت من الذهب فحلت على لعنته كما يقـــال في ميدان الســـباق ، حلت على اللعنـــة بصور شتى .

(تضحك ضحكا بلا مرح)

العمـــة : (ولم تتأثر لهذا الكلام — وقد رفعت حواجبهـــا في تعال) يبدو أنك اليوم مصابة بنوبة من الصراحة . ولكنك لست أهلا لها . الا اذا كان هذا أيضا تمثيلا

به شكلك ؟ فطيرة محشوة بلحم الخنزير فوق غطاء مائدة من المشمع في مطبخ . . . لا داعى للاسترسال في التشبيهات فهى مملة (تغمض عينيها) .

العمـــة : (تضحك ضحكة مرة) اشكرك على صراحتـــك . ولكن مادمت عينت حارسة عليك ولا بد أن أبقـــى كذلك – ولو في الظاهر – فلنعقد هدنة عدم اعتداء من نوع ما – من ناحيتى سأتركك حرة تمام الحرية لتشبعى أى نزوة شاذة تستهويك للاغراب – مادمت تراعين الاعتدال .

ميلـــدرد : (تمط الكلمة مطا) الهيافـــة ؟

العمـــة : (تواصل الكلام وكأنها لم تسمع المقاطعة) بعـــد أن استنفدت كل مباعث الاثار العليلة في نيويـــورك الشرق – وعلى فكرة لابد انهم كرهوك هناك أشد الكراهية – اقصد الفقراء هؤلاء الذين أشعرهـــــم ظهورك عليهم بفقر على فقرهم – بعد ذلك تغرمين الآن على تدويل نشاطك الهدام هذا . على كل أرجو ألا يخيب ظنك حى هوا يتشابل في لندن وتجدين في فقر أهله الدواء المقوى المطلوب . لكن لا تنتظـــرى منى أن أقوم بحراستك هناك . قلت لابيك أننى لن أفعل ذلك . أننى أمقت التشوه والمشوهين . سوف أستأجر جيشا من البوليس السرى لحراستك وبذلك تستطيعين أن تبحثى في كل ما يسمحون لك ببحثه .

ميلـــدرد : (ترد عليها وفي كلامهـــا أثر للجـــد الصادق غير المتكلف) بالله عليك لا تسخرى منى اذ أحـــاو ل

العمـــة : ولكن أليس عليك أن تستأذني القبطان أو أحدا غيره في النزول الى عنبر الأفران بالمركب .

ميلـــدرد : (تبتسم ابتسامة ظفـــر) عندى اذن القبطان واذن المهندس الاول . في بادىء الامر امتنعا عن اعطائي الاذن برغم الاوراق التى تثبت اشتغالى بالخدمـــة الاجتماعية . ولم يكونوا متحمسين أقل تحمـــــس لمشروعى في الاطلاع على أحوال عمال الباخـــرة وطريقة معيشتهم . ولهذا اضطررت ان أخبرهم بأن أبي الذى هو رئيس شركة الناصرة للصلب ورئيس مجلس ادارة شركة الملاحة هذه قد وافق عـــلى الزيارة التى اقترحتها .

العمـــة : ولكن أباك لم يأذن لك .

ميلـــدرد : يا للسذاجة التى تأتى مع الشيخوخة . ولكن ياعمتى أنا قلت بأن أبى نبـــه بذلك بل قلت . انه كان قـــد أعطانى رسالة اليهم ولكنها فقدت ولم يجرؤ أحـــد منهم أن يتوهم أنى ربما أكون كاذبة . (باهتياج) واذن فالى عنبر الافران . المهندس الثانى سوف يصحبنى الى هناك (وهى تنظر الى ساعتها) لقد حل الموعد . وأظنه هو ذا القادم .

(المهندس الثانى يدخل . وهو رجل لطيف المحيـــا في الخامسة والثلاثين من عمره . يقف أمام الاثنتين ويخلع قبعته تحية ويبدو عليه بوضوح الارتباك والحيرة)

المهندس الثانى : أنت مس دوجلاص ؟

صريحا وعندئذ لك أن تتصنعى ماشاء لك التصنع ففى هـــذا نوع من الاخلاص كما تعرفين . ويجب أن تعترفي بأن هذا أحب شيء لديك .

ميلـــدرد : (وقد عاد اليها التكلف والسأم) صحيح أن التكلف أحب شيء الى . وأرجو أن تغفرى لى اندفاعـــتى . أنثى الفهد تبدو ولا شك سخيفة اذا اشتكت مـــن البقع التى على جلدها (بلهجة ساخرة) أيتها الفهيدة زومى وموئي وحكى ومزقي واقتلى وابجرى بطنك وقطعى نفسك واسعدى بذلك على شرط أن تبقى في الغابة حيث البقع التى في جلدك تفيد في التعميـــة . أما اذا وضعت في قفص فانها تجعلك ملفت الأنظار .

العمـــة : لا أفهم عم تتحدثين ؟

ميلـــدرد : من الوقاحة أن أتحدث اليك في أى موضوع . واذن فلنتحدث في غير موضوع (تنظر في ساعة يدهـــا) الحمد لله حان الوقت الذى أنتظرهم فيه . وأعتقـــد ياعمتى أن الأمر سيكون مثيراً .

العمـــة : (تتكلف الانشغال) ما هذا الذى تقولين . هــــل صحيح أنك تنوين الذهاب ؟ الى حيث القذارة — والحرارة التى لابد أنها مخيفة .

ميلـــدرد : جدى بدأ حياته عاملا في فرن لصهر الحديد . فأنـــا جديرة بأن أرث عنه مناعة ضد الحرارة تتضـــاءل بجوارها مناعة السلماندر في النار . سوف أســـتمتع وأنا أضع هذه القوة موضع الاختبار .

المهندس الثانى : (وقد اتجه كليه الى البحر – يقول بقلق) صحيح . اذا سمحت لى يا مدام أن أبدى ملاحظة . هل تنوين الذهاب بهـذا الفستان .

ميلـدرد : ولم لا ؟

المهندس الثانى : لأنك ربما تحتكين بالزيت والقذارة . وهذا أمـر لا مفـر منه .

ميلـدرد : وأى ضير ؟ عندى فساتين بيضاء كثيرة .

المهندس الثانى : عندى معطف قديم يمكن أن تلفيه فوق

ميلـدرد : عندى خمسون فستانا من هذا . سأرمى هذا في البحر بعد أن أعود والبحر كفيل بأن يغسله . ألا تظن ذلك؟

المهندس الثانى : (ثابتا في رأيه) هنالك سلالم سوف تنزلينها . وهى ليست نظيفة أبدا . وهنالك دهاليز مظلمة

ميلـدرد : لن أذهب بغير هذا الفستان .

المهندس الثانى : لم أقصد اغضابك . ليس هذا من شأنى – ما كنت أقصد سـوى تحذيرك

ميلـدرد : تحـذير ؟ شيء مثـير ؟

المهندس الثانى : (ينظر الى الطرف الآخر من السطح ويقول وقـد تنفس الصعداء) ها هو المهندس الرابع قد أتى . انه ينتظرنا . تفضلى .

ميلـدرد : تقدم وسأتبعك (يسير وميلدرد تلتفت الى عمتهـا بابتسامة ساخرة) خام ولكنه وسيم ونشيط .

العمـة : (باحتقار) رقيعـه .

ميلــدرد : نعم (تزيح غطاء ركبتيها وتنهض واقفة) هل نذهب في الحــال ؟

المهندس الثاني : بعد لحظة واحدة ياسيدتي . انتظر وصول المهندس الرابع . سيأتي معنا .

ميلــدرد : (بابتسامة يشوبها احتقار) لمــاذا تنتظره ؟ لأنك لا تريد أن تحتمل هذه المسئولية وحدك .

المهندس الثاني : (مبتسما رغم أنفه) اثنان خير من واحد . (وقــد أقلقته نظرتها فأدار وجهه جهة البحر وأخذ يقول في شــبه تمتمة) الطقس اليوم جميل .

ميلــدرد : صحيح .

المهندس الثاني : نسيم دافي لطيف .

ميلــدرد : ولكني أجده باردا .

المهندس الثاني : الجو حار اذا جلست في الشمس

ميلــدرد : حرارته لا تكفيني . أنا لا أحب الجو الطلق . لم أخلق رياضية .

المهندس الثاني : (مبتسما رغم أنفه) حيث أنت الآن ذاهبة لن تطيقي الحــر .

ميلــدرد : تقصد أني ذاهبة الى جهنم .

المهندس الثاني : (وقد أخذه ما قالت على غرة فقرر أن يضحك) هأ هأ — لا . انما قصدت عنبر الافران .

ميلــدرد : جدي كان عاملا في أفران الصلب . وكانت لعبتــه الحــديد المنصهر .

ميلـــدرد : هل سمعته يقول أن هناك أركان مظلمة . . .

العمـــة : (بنفس اللهجة) يا رقيعة .

ميلـــدرد : (تعض شفتيها بغضب) صدقت . ولكنى وددت لو أن صاحبة الملايين لم تكن عفيفة هذه العفة الانيمية .

العمـــة : لا شك عندى أنك في سبيل دور جديد تمثلينهلا مانع عندك من أن تلطخى اسم دوجلاص بالوحل .

ميلـــدرد : وهو من الوحل نشأ « والى اللقاء ياعمتى » . لا تلحى على الله بالدعاء بأن يوقعنى في نار الفرن .

العمـــة : رقيعـــة !

ميلـــدرد : ياعجوز يا شمطاء (تلطم عمتها على وجهها بقصـــد الاهانة وتولى وهى تضحك لاهية) .

العمـــة : (وهى تصرخ) مرة أخرى أقول أنك رقيعة .

ســـتار

* *

الفحم نحوهم ويمكن ولو بصعوبة ابصار الآخرين وهم متكئون على مجارفهم في أوضاع مرتخية بعد الانهاك) .

بـــادى : (من مكانه في الصف — متوجعا) وا أسفاه على . هذه الدورية اللعينة أليست لها نهاية ؟ لقد قصم ظهرى وتحطمت عن آخـــرى .

يانـــك : (في وسط الصف — بسخرة متدفقة) ياه . يصيبنى الغثيان كلما سمعتك . ما يمنعك أن ترقد وتموت ؟ أنت دائما وداوما تئن وتزن و هذا شأنك على الدوام . هذا العمل للرجال . لقد خلقت له وخلق لى . انه زادى مفهوم (من مكان ما ومن فوق في الظـــلام تنطلق صفارة بنعمة رفيعة مصرصعة . يانك يلعـــن دون غضب) ذلكم المهندس الملعون يطرقع الكرباج . انه يحسبنا نلعب .

بـــــادى : (بشعور انتقامي) ربنا يهده

يانـــــك : (يأمرهم بابتهاج) هيا يا رجال . هيا إلى العمل الباخرة جاعت . احشوا جوفها بالطعام . القوة في بطنها . هيا الآن كلنا . افتحوا أفواهها (عند آخر جملة كل العمال الذين اقتدوا به في العودة إلى أوضاعهم يزيحون الأغطية بصوت احتكاك مزعج . وعند انحنائهم على الفحم يتسلط على مناكبهم ضوء من اللهب وعلى ظهورهم ترتسم خرائط بفعل العرق المتصبـــب عليها والمخلـــوط بهبـــاب الفحم . وعضلاتهم النامية تتشكل وتتشكل بالأنوار والظلام والظلام) .

المشهد الثالث

عنبر الافران . في المؤخرة تشاهد اشكال الافران والاذانات بادية المعالم في الظلام . ويتدلى عاليـــا فوق الرؤوس مصباح كهربائي يرسل من الضياء خلال الجو المعتم المحمل بهباب الفحم ما يكفي فقط لمـــلء المكان بظلال في جميع أرجائه . صف من الوقادين عراة حتى الخصر واقفون أمام فوهات الأفران وهم منحنون لا ينظرون الى اليمين ولا الى اليسار ، كل منهم يعالج جرافه وكأنه عضو من أعضائه بايقـــاع غريب متأرجح . وهم يستخدمون الجراف أيضا في فتح أغطية الافران ومن هذه الفتحات المستديرة الملتهبة في الظلام يتدفق سيل عارم من الحرارة والضـــوء يتسلط على العمال فتظهر فيه اشباحهم في أوضاع متحفزة شرســـة كالقرود المسلسلة . الوقادون يعملون المجارف بحركة ايقاعية تدور أجسامهم كالخشب المثبتة على محاور فيما بين الفحم المكوم على الارض من خلفهم والافواه المشتعلة أمامهم يلقون فيها الفحم . هنالك ضجيج وعجيج . اصطكاك أغطية الافران وهى تنفتح وتنطبق بعنف ثم خـــرير الصلب يحتك بالصلب وطقطقة الفحم صرير يجعـــل الاسنان تضرس والبدن يقشعر . اختلاط في الاصوات يصم الافـــران بنشازها المفتت للاعصاب . ومع ذلك فيها نظام وايقاع وتكرار آلى رتيب . ويعلو هذا كله زئير اللهب المتوثب في الافران والنبضات الرتيبة للماكينة ممـــا يجعل الهواء يطن برعشة الطاقة الموحدة .

(عند رفع الستار تشاهد فوهات الافران مغطاة — والعمال في فترة للتنفس — وعامل أو عاملان يسويان أكوام الفحم خلفهم ويجـــرون

أصـــوات : (مؤيدة)
تمام تمام .
يانك أسد .
يانك لا يخاف أحداً .
يا لك من فتى ، يا يانك !
ادفعه إلى النار !
قل له إنه حلوف وسخ !
طاغية ملعون .

يانــــك : (باحتقار) إنه لرعديد . إنه لجبان . المهندسون كلهم جبناء مهما كانت الأوسمة العريضة التي يتحلون بها . وأنت يا من تطلق الصفارة اذهب في داهية . هيا بنا نبدأ يا رجال لقد نلنا قسطاً من الراحة . هيا بنا . إنها في حاجة إلينا فلنمدها بالمؤونة ولنزودها بالحيوية . إنها لم تكن لـــه . لا هو و لا صفارتـــه ينتمون لها . نحن فقط الذين ننتمي لها . مفهوم . فعلينا أن نطعم البنية . هيا !

(يستدير ويفتح فوهة الفرن بعنف . والجميع يحذون حـــذوه . وفي هذه اللحظة يظهر المهندس الثـــاني والرابع آتيين من الركن المظلم جهة اليسار وبينهما ميلدرد .

تنتفض ويصفر لونهـــا وينهار ما فيها مـــن تكلف وتصاب بقشعريرة خوف على الرغم من السخونة الملتهبة ولكنها تنتزع نفسها من بين المهندسين وتتقدم بضع خطى نحو الوقادين فتقف خلف « يانك »

يانــــك : (يعد . واحد إثنين . واحد إثنين بصوت غنائي وهو يجرف الفحم دون ما يبدو عليه إجهاد) واحد . إثنين . ثلاثة . (صوته يرتفع نشوان بالفرح كأنه في معركة) هذا هو الغذاء — اطعموها إياه . هيا . مع بعض . طوحوه فيها خليها تجري . ألا ترونها تتحرك . ألا ترونها تدخن إنها بنت السرعة . أمدوها بالفحم يا رجال . الفحم طعامها وشرابها . اشربي يا حبيبتى . تمكنى في اليم ثم ثبى عليه . هكــذا تسير . (تؤدى العبارات الأخيرة بنفس الــروح التى يشجع بها جمهور الترسو أنصارهم في مباراة . يدفع البـــاب ليغلق فوهة الفرن ويحذو حذوه الآخرون في وقت واحد بقدر ما تسمح به أجسامهم المنهوكة . والأثر الذي ينتظر من هذا هو لفتحة نارية تختفى أثر فتحة نارية ويصحب هذه سلسلة من أصوات الاغلاق العنيف) .

بــــادى : (يتأوه) ظهري انكسر . أنا هالكت — هلكت . (يعقب هذا برهة صمت . تنطلق بعدها للمرة الثانية تلك الصفارة التى لا ترحم منبعثة من منطقة الظلمات فوق المصباح الكهربائي . فتقابل بعاصفة مـــن الغضب والسب واللعن من جميع الحاضرين .

يانــــك : (وهو يلوح بقبضته إلى أعلى — باحتقار) كفى . أنت هناك أينا تظن الذي يسيرها ؛ أنا أم أنت ؟ عندنا أستعد أنا نبدأ . لا تتحركوا قبل ذلك إنتظروا حتى أستعد . افهموني .

الضيقتين لمعة وحشية . فيبصر ميلدرد في النـــور الساطع عليها من فوهات الأفران المفتوحة وكأنها شبح . ويحدق في عينيها وقد تجمد مكانه . أمـــا « ميلدرد » أثناء إصغائها لخطابه فقد تجمدت هـي الأخرى بفعل الرعب والذعر وانهارت شخصيتها انهياراً تاماً وتحطمت وتضعضعت من مرأى هـذه الحيوانية العميقة العارية التى لا عهد لها بهـا وبينما هي تتأمل وجهه الشبيه بوجه الغوريلا وعيناها غائرتان في عينه إذ بها تصرخ صرخة واطية مخنوقة وتنكمش عنه وتضع كلتا يديها أمام عينيها لتحجب عنها مرأى وجهه حماية لنفسها . فينفعل « يانك » بهذا . فيغفر فاه وتصاب عيناه بالذهول) .

ميلــــدرد : (على وشك أن يغمى عليها – توجه الكلام إلـى المهندسين وقد أخذ كل منهما بأحد ذراعيهـا) احملوني احملوني بعيداً عن هذا الحيوان القذر .

(يغمى عليها . يحملانها بسرعة ويختفيان بهـا في الظلام من جهة اليسار من الخلف . باب حديدي يوصد بشدة . يجتاج « يانك » الغضب والحنـق الشديدان . إذ يحس أنه قد أهين في صميم كرامته ولكن بأسلوب ما من الأساليب الخافية . فيـزأر « لعنة الله عليك » ويقذف جاروفه عليهم فيصطدم بالباب الذي قد أوصد . فيضرب صلبه بقـوة رهيبة ويسقط مدوياً على الأرض المعدنية . تسمع الصفارة مرة أخرى من فوق غاضبة ملحة آمرة) .

– ستـار –

مباشرة . ويحدث هذا بسرعة في الوقت الذي أدار العمال فيه ظهورهم) .

يانـــــك : هيا بنا يـــا رجال (يستدير ليجرف الفحم وإذا بالصفارة تنطلق مرة أخرى بلهجة الآمر الغاضب . فيستشيط « يانك » غضباً . وبينما الرجال قد استداروا بكليتهم وبهتوا لمرأى « ميلدرد » وهي تقف هناك في زيها الأبيض الناصع ، فإن « يانك » لايراها لأنه لم يستدر استدارة كاملة . وفوق ذلك فرأسه على قفاه ينظر إلى الظلام أعـــلاه كأنه يحاول أن يخترقه ليعرف صاحب الصفارة . وقد رفـــــع جاروفه بيد وجعل يلوح به مهدداً متوعداً وجعل كالغوريلا يدق بيده الأخرى على صدره ويصيح) اسكت هذه الصفارة . انزل هنا أنت هناك يا رعديد يا أبو نحاسة . يا جبان . يا ذنب الكلب . يا طرطور . انزل هنا ولعنة الله علي إن لم أسحق رأسك . يا قذر . يا جبان . يا نتن . يا حشرة . ما أنت إلا كافـــــر ملعون ابن زانية . انزل هنـــا حتى أجهز عليك . تطلق عليّ الصفارة . سوف تلقى جزاءك . سوف أطحن طاسة رأسك . سوف أدق أسنانك في عنقك . سوف أخرج أنفك من قفاك . سوف أقطع مصارينك بشلن يا جربوع . يا وسخ يا أكال بالبعر يا بن الـ . . . (وفجأة يشعر بزملائه جميعاً وهم يحدقون في شيء خلفه مباشرة . فيدور بحركة دفاعية ويزمجر زمجرة غاضب فاتك وينحني استعداداً للانقضاض وقـــد كشفت شفاهه عن أســـنانه والتمعت عيناه

يانـــــك : (مكفهراً) لم أنس شيئاً . وليلعن الاغتسال .

أصـــوات : سوف يلصق بك .
سوف ينفذ إلى ما تحت جلدك .
سوف يجعلك تحك جلدك حتى تهريه .
سوف يكسو جلدك بالبقع مثل التى تكسو أنثى الفهد
تقصد مثل الزنجى المخلط .
خير لك أن تغتسل يا « يانك » .
خير للراحة في نومك .
اغتسل يا « يانك » .
اغتسل يا « يانك » اغتسل .

يانـــــك : (مغضباً) اسكتوا يا رجال . دعوني وشأني . ألا تروني أحاول أن أفكر ؟

الجميـــع : (يرددون نفس الكلمة بعده في نفس واحد بتهكم غير المصدق) « تفكر». (للكلمة رنين معدني صفيق كأن حناجرهم أبـــواق فوتوغرافية . ويتبعهـــا ضحك جماعي خشن كأنه نباح كلاب) .

يانـــــك : (ينهض واقفاً وينظر إليهم شزراً) نعم أفكـــر . هذا ما قلته . إننى أفكر . وأى بأس بهذا . (يعتريهم الصمت وقد أدهشهم غضبه ، هذا الغضب المفاجيء من شيء جرت عادته أن يعتبره فكاهة من فكاهاته . يجلس « يانك » مرة أخرى في وضع « المفكر »).

أصـــوات : دعوه وشأنه .
إن به لعلة .
وله الحق في الشكوى .

المشهد الرابع

العنبر الخامس بسكنى الوقادين .

(فرغت وردية « يانك » من العمل لتوها وتناول الرجال العشاء – أجسامهم ووجوههم تلمع وقد حكوها بالماء والصابون ولكن ما يزال حول أعينهم ملتصقة بحواشيها بقايا من الفحم لم يجد معها شطفة سريعة فتبدو عيونهم وكأنها مكحولة مما يجعل لها تعبيراً غريباً منذراً بالشر . أما « يانك » فلم يغسل لا وجها ولا جسداً . وهو بهيئته المسودة وجلسته المطرقة يتميز عنهم تميز النقيض عن النقيض . وهو يجلس إلى الأمام منهم على مقعد في وضع يشبه تمام الشبه جلسة « المفكر » للفنان رودان . أما الآخرون وأكثرهم يدخنون البيبة فهم يحدقون في « يانك » تارة في وجل كأنهم يخشون انفجاراً وتارة بإنبساط كأنهم عثروا في مكان ما على فكاهة تغريهم بالضحك) .

أصوات : إنه لم يذق الطعام .
لا بد للإنسان من طعام يدخل جوفه .
مضبوط – صدقت .
إن يا نك ليطعم النار ولكنه نفسه لا يطعم شيئاً .
ها – ها .
حتى مجرد الاغتسال لم يبال به .
إنه قد نسى .
هيه ، يا يانك . نسيت أن تغتسل .

أبيها ، انه مليونير لعين رأسمالى لعين وأن لديه من الذهب اللعين ما لو وضع في هذه الباخرة لأغرقها . فهو يصنع الصلب اللعين لنصف العالم ويملك هـذا المركب اللعين . وأنا وأنتم ايها الرفاق عبيده .والمركب والبحارة والمهندسون كلهم عبيد له . وهى ابنتـه الملعونة ونحن جميعا عبيد لها هى الاخرى . وما هو الا ان تصدر أوامرها بأنها تحب أن ترى الحيوانات في الأدوار السفلى وما عليهم الا الطاعة (زوبعـة غضب من كل جانب) .

يانـك : (يحملق فيه مشدوها) اسمع . انتظر لحظة . أحقـا ما تقول ؟

لونـج : لا أقول الباطل . لقد أنبأنى به السفرجى الذى يقوم بخدمتها على الطعام . والآن أواجهكم بهذا السؤال . ماذا نحن فاعلون ؟ هل سنبتلع اهاناتها مثل الكلاب ؟ ليس هذا ضمن شروط التعاقد للعمل على الباخرة . انى واثق من أن لنا دعوى ونستطيع ان نرفع أمـرنا للقضاء .

يانـك : (باحتقار عميق) قضاء . طظ .

الجميـع : (يرددون نفس الكلمة بعده في نفس واحد بتهكم غير المصدق) قضاء . (للكلمة رنين معدنى صفيق كأن حناجرهم أبواق فوتوغرافية . ويتبعها ضحك جماعى خشن كأنه نباح الكلاب) .

لونـج : (يحس بالارض تميد من تحت قدميه — فيقول بانسا) بوصفنا مواطنين وناخبين نستطيع أن نرغم الحكومات

بـــــادى : (يغمز بعينيه للآخرين) أنا متأكد من أني أعـــرف العلة ، فمن السهل معرفتها . أؤكد لكم أن « يانك » قد وقع في الحب . (يرددون نفس الكلمة بعــده في نفس واحد بتهكم غير المصدق) الحب . (للكلمة رنين معدني صفيق كأن حناجرهم أبواق فوتوغرافية ويتبعها ضحك جماعي خشن كأنه نباح الكلاب) .

يانـــــك : (بنفخة إزدراء من أنفه) الحب ، قطيعة . تقصد البغض . لقد وقعت في البغض . مفهوم ؟

بـــــادى : (يلعب دور الفيلسوف) لا يقدر على التمييز بينهما إلا حكيم (بسخرية لاذعة تمعن في التهكم كلما مضى في الكلام) ولكنى أؤكد لكم أنه ليس إلا الحب . فأي شيء غير الحب لنا نحن الحيوانات المسكينة يحمل سيدة راقية في زي ملكة ناصعــة البياض على أن تنزل إلى عنبر الأفران وتقطع أميالاً من السلالم والدرج من أجل أن تنظر إلينا نظره . (زمجرة غضب ترتفع في كل مكان) .

لونـــج : (يهب واقفا على مقعد ويقول وهو في حالة محمومة) انها لم تأت هنا الا لتهيننا . تلك الانثى الملعونة . وهؤلاء المهندسون الملعونون بأى حق يفرجون علينا الناس كأننا قرود في حديقة الحيوان ، نحن العمال الشرفاء هل نقبل على أنفسنا هذه الاهانة لكرامتنا ؟ هل من ضمن شروط التعاقد أن تهـــان كرامتنا ؟ كلا وألف كلا . ولكنى أعرف لمـــاذا يفعلون هذا بنـــا . سألت عنها أحد خدم الباخرة فأخبرنى عن

يانـــك : (يزمجر زمجرة فيها اضطراب وفيها جرة) أوه !

بـــادى : وهنالك وقف « يانك » يزأر بالسباب ويرسل اللعنات ويستدير بالجراف يود لو يشج رأسها — ثم نظرت هى اليه ونظر هو اليها

يانـــك : (ببطء) كانت تلبس ثيـــابا بيضاء ناصعة البياض حتى لظننتها شبحا . هذا صحيح .

بـــادى : (في سخرية ثقيلة لاذعة) كان ذلك بلا شك هو الحب من أول نظرة . لو رأيتم نظرة الهيام علىوجهها الشاحب عندما اقشعر بدنها ، وغطت عينيها بيديهـــا حتى لا ترى صورته ، بدا عليها حقا كما لو انهـــا رأت غوريلا ضخما كثيف الشعر قد هرب من قفصه في حديقة الحيوان .

يانـــك : (وقد لدغته السخرية فزمجر غاضبا) أوه .

بـــادى : وما كان أرق « يانك » وقد رفع الجراف ليهـــوى به على أم رأسها ، غير أنها كانت قد ولت . (تعلو وجهه ابتسامة باردة) اؤكد لكم أن المنظر كان مؤثرا للغاية ألم يضف على محيطنا هنا في الفرن جـــوا من السعادة العائلية ومسحة ممـــا يحدث بين الازواج والزوجات ؟ (عاصفة من الضحك)

يانـــك : (يحدق في بادى مهددا اياه) انسد . انكتم . او تسمعني ؟

بـــادى : (غير مبال به — يوجه الكلام للآخرين) ثم تشبثت بالمهندس الثانى ليحميها (يقلد صوت امرأة تقليدا

يانك : (بازدراء مطبق) حكومات . طظ .

الجميع : (يرددون نفس الكلمة بنفس واحد بتهكم غير المصدق) حكومات . (للكلمة رنين معدني صفيق كأن حناجرهم أبواق فوتوغرافية . ويتبعها ضحك جماعي خشن كأنه نباح كلاب) .

لونج : (بحالة هيستريا) كلنا أحرار سواسية أمام الله .

يانك : (بازدراء مطبق) الله .

الجميع : (يرددون نفس الكلمة بعده في نفس واحد بتهكم غير المصدق) الله . (للكلمة رنين معدني صفيق كأن جناجرهم أبواق فوتوغرافية ويتبعها ضحك جماعي خشن كأنه نباح كلاب) .

يانك : (وقد جف ريقه) فلتنتظم في جيش الانقاذ .

الجميع : اقعد . اخرس . اقعد ياغر ياملعون . تريد أن تنصب نفسك محاميا عن البحارة (لونج ينسحب متخفيا ويغيب عن النظر) .

بادى : (يمضى في خواطره وكأن أحدا لم يقاطعه ويقول بمرارة) واذا هي واقفة الى الخلف منا والمهندس الثاني يشير باصبعه نحونا كما يحدث في سرك اذ تسمع رجلا يقول هنا في هذا القفص بابون أغرب من أى نوع من البابون تجده في القارة السوداء . نحن نقليهم في عرقهم ولعنة الله عليك ان لم تسمع بعضهم يقول انه يتلذذ بهذا التعذيب .

(يقول هذا وهو يختلس نظرات احتقار الى يانك) .

الى الخلف لادق عنقه بجرافي ، واذا بها واقفة هناك والضـــوء مسلط عليها . يالله . في تلك اللحظة كنت لو دفعت بطرف اصبع لسقطت . لقد ذعرت . لقد ظننتها شبحا . مفهوم ؟ كانت في زى أبيض كالذى تكفن فيـــه الموتى . وأنتم رأيتموها . أفبعـــد ذلك تلومونى . لم يكن لها مكان هناك . هذا كل ما في الامر . ولمـــا أفقت من دهشتى وتأكدت أنها امرأة ذات فستان وأدركت نظرتها الى — كما قال بادى — يالله ركبنى الغضب . مفهوم ؟ انى لا أطبق هـــذه المعاملة من أحد كائنا من كان فألقيت عليها الجراف. ولكنها كانت قد ولت (بغضب جارف) يا ليتـــه دق عنقها ! ياليته أطاح برأسها !

لونـــج : ثم تشنق أنت أو تعدم على الكرسى الكهربائي ؟ انها لا تستحق أن تذهب أنت ضحيتها .

يانـــك : لا أبالى ان أعدمت شنقا أو بالكهرباء . المهم هو أن أثار منها . أتحسبون أني كنت أدعها تلطخني بهـــذا العار ؟ أتحسبون وقد فعلت ما فعلت أني تاركهـــا تفلت مني ، ان كنتم ظننتم هذا فأنتم لم تعرفـــوني . لم يحدث لأحد قط أن فعل هذا وأفلت من يـــدى . مفهوم . لم يحدث لى شيء من هذا القبيل لا من رجل ولا من امرأة . سوف أثـــأر منها . ولعلها تنزل الينا هنا مرة أخرى —

صـــوت : لا أمل في ذلك يايانك . انت افزعتها لدرجـــــة ستوقف نموها عاما كاملا .

مضحكا) قبلني يا مهندس يا حبيبي فهنا ركن مظلم وأبي الشيخ المسن في وولستريت يجمع الألوف والملايين . ضمني اليك بشـــدة يا حبيبي لأني خائفة في الظلام وأمي فوق تبصبص للقبطان (عاصفة من الضحك) .

يانـــك : (مهددا) ما الذي ترمي اليه ؟ أتعمل على اغاظتي يأيتها القيثارة البالية ؟

بـــادى : لا ورأس أبيك . ألم أتمن أنا نفسي لو أنك شججت رأســـها ؟

يانـــك : (بوحشية) سوف أشج رأسها . انتظر وسوف ترى أني سأشج رأسها .

(يقترب من بادى ويسأله ببطء) قل لى . هل هذا نعتنى به . غوريلا كثيف الشعر ؟

بـــادى : بان في نظرتها اليك وان لم تقله باللفظ .

يانـــك : (يكشر عن أنيابه بصورة بشعة) غوريلا . هـــاه . صحيح ؟ من المؤكد أن تلك كانت نظرتها الى . حسنا ؟ غوريلا . (ينفجر غضبا وكأنها لا تزال أمامه) يا عاهرة . يا جلد على عظم . يافاجرة .

يا صفراء الوجه . سوف أريك أينـــا القرد . (يتجه للآخرين وقد استولت عليه الحيرة مرة أخرى) اسمعوا يا رجال . انى كنت أزجره لأنه أطلق علينا صفارته . لقد سمعتمونى . وبعد ذلك رأيتكم تنظرون الى شيء فظننته تسلل نازلا ووقف ورائى فقفزت

منها . عساها تنزل الينا مرة أخرى وسوف أطوح بها في الفرن . وحينئذ سوف تصحو وتتحرك وحينئذ لن تصيبها قشعريرة من شيء وستكون وقوداللسرعة وعندئذ يكون لحياتها معنى (يكشر عن أنيابه تكشيرة بشعة) .

جادى : انها لن تعود . اؤكد لك أنها نالت ما يكفيها ويزيد . وأظنها الآن في الفراش ومن حولها عشرة من الاطباء والممرضات يسقونها أملاح تطهرها من الخوف .

يانك : (وقد اشتد غضبه) حتى أنت تعتقد أن مرآى جعلها تصاب بالغثيان ويغمى عليها . بمجرد النظر الى ؟ غوريلا هيه ؟ (في غضب محموم) سأنتقم منها . سأعرفها حدودها . سوف تجثو على ركبتيها وتسحب الاهانة والا فصلت رأسها عن جسدها . (يلوح في الهواء بقبضة ويدق على صدره بالقبضة الاخرى) اني مقدم عليك . اني ظافر بك . أتسمعين ؟ اني منتقم منك . ولعنة الله عليك .

(يندفع نحو الباب)

أصوات : اوقفوه

سيرمونه بالرصاص .

انه سيقتلها .

اطرحوه أرضا .

امسكوه .

لقد جن جنونه .

بالله . ما اقواه .

يانـــك : أنا أفزعتها ؟ ولم تنفر مني هذا النفور ؟ ومن تكون هي ؟ وما هو الفرق بيني وبينها ؟ ألسنا من لحم ودم؟ غوريلا . (تعود اليه الثقة القديمة والتظاهر بالشجاعة) سأثبت لها أنني خير منها وعساها تعي وتفهـــم . لي مكان أما هي فلا حاجة لها . اني أتحرك وهي ميتة . خمس وعشرون عقدة في الساعة . هذا من عملي . المركب يحملها وأنا الذى أصنع حركة المركـــب . وما هي الا من الأمتعة . حقا (تستولى عليه الحـــيرة مرة أخرى) ولكن والله كان منظرها مضحكا . هل تأملتم يديها . بيضاء ومعروقة جلد على عظـــم . كنت ترى العظم من خلال الجلد ووجهـــا أبيض شاحبا وعيناها كأنها أبصرتا عفريتا . العفريت الذى هو أنا . صحيح غوريلا . عفريت . انظروا الى هذا الذراع (يمد ساعده ويبرز عضلاته بشدة) كـــان بوسعي أن أقبض عليها بهذا بل بطرف أصبعــــي الصغير وأكسرها نصفين (تعاوده الحيرة) من هي تلك المرأة ؟ وما هي ؟ ومن أين جاءت ؟ ومن الذى صنعها ؟ وكيف جرأت أن تنظر الى هذه النظرة ؟ لقد أشكل على الامر . لست أفهم هذه المرأة . انها غريبة علي . لست أدرك ماتعني امرأة مثلهـــا ؟ انها لا مكان لها وليست تملأ عيني (بغضب يتزايـــد) ولكن أمرا واحدا أعرفه عن يقين وعن ثقة تامـــة وهو انكم تستطيعون ان تراهنوني على أني سآخـــذ بثأري منها . سأريها ان كانت تحسب أنها ـ أنها هي الضاربة على الأرغون وأنا أحد أوتاره . سوف أنتقم

ابقـــوه على الارض .
حاذروا من رفصه .
اوثقوا ذراعيــه .
(يتجمعون عليه وبعد صراع رهيب يطرحونه ارضا بفضل الكثرة العددية قبل أن يخرج من الباب) .

بـــادى : (وقد ظل بعيدا) أبقوه في وثاقه حتى يهدأ (بازدراء) ما أشد غباءك يايانك . كل هذا الاهتمام بخنزيـــرة معصعصة كتلك لايجرى في عرق من عروقها مـــن الدم الحر قطرة واحدة ؟

يانـــك : (كالمحموم – يتكلم من تحت العدد المتكاثر فوقه) لقد لطختنى بالوحل . ألم تلطخنى بالوحل ؟ سأشفى غليلى منها . سأظفر بها بأى شكل خفوا عنى يارجال. دعوني أنهض . سأريها أينا الغوريلا .

وهما يترنحان . لونج يلبس قميصا قصير الأكمام ورباط عنق أسود وطاقية من القماش . أما يانك فملابسه قذرة ومصنوعة من العبك . وعلى رأسه قلنسوة وقاد ذات زر أسود يلبسها على جنب رأسه في تحد سافر . لم تعرف الموسى طريقها الى لحيته منذ أيام ولايزال هباب أسود من تراب الفحم لا صقا بحواشي عينيه الوحشتين الغاضبتين كأنه كحل . ومثله في ذلك لونج ولكن بدرجة أنقص . يترددان ثم يتوقفان معا عند الناصية يترنحان وينظران حولهما نظرة احتقار وتحد) .

لونج : (يشير الى المنظر كله اشارة خطيب) ها قد وصلنا «الشارع الخامس» . هذا الحي خاص بهم ، مقصور عليهم . (بمرارة) نحن هنا معتدون ولا حق لنا في المسير هنا . كأن بي أسمع أحدهم يقول – يابروليتاريت ياصعاليك ، ابتعدوا عن أحواض الحشيش .

يانك : (في غفلة) اني لا أرى هنا حشيشا ياغبي . (يحدق النظر في الرصيف) ما أنظف هذا الرصيف. أستطيع أن ألعق الطعام من عليه لعقا . لابد أن السادة الاعيان قد تعبوا في تنظيفه وكنسه . (يتفحص الشارع من أوله إلى آخره بوقاحة) أين الجبناء لابسو الياقات البيضاء – ألم تقل لي إنهم هنا ؟ وأين ذوات الجونلات – من أمثالها ؟

لونج : في الكنيسة ، يلعنهم الله . يدعونه المزيد من الجاه والمال .

المشهد الخامس

مضت ثلاثة أسابيع على المشهد الاخير . أحد أركان « الشارع الخامس » (في نيويورك) في أحد أيام الآحاد والجو مشرق . المنظر العام يوحي بشارع واسع نظيف حسن التنسيق . سيل من أشعة الشمس وقد طابت واعتدلت — نسمات رقيقة لطيفة في مؤخرة المنظر . واجهات لدكانين أحدهما ويقوم في ناصية الشارع مؤسسة لبيع الجواهر والذى يليه محل لبيع الفراء . ومن ثم تشاهد الحلى الدالة على الثراء الفاحش بصورة تثير أعصاب المحروم . فواجهة مؤسسة المجوهرات تشع بالماس المتلألىء والزمرد والعقيق واللؤلؤ صنعت على هيأة عمائم منمقة وتيجان وعقود وأطواق الخ . وقد تدلى من كل قطعة منها بطاقة كبيرة كتب عليها بنور كهربائي يبدو ويخبو سعرها الخيالى بالدولارات . ومثل ذلك في مؤسسة الفراء . هناك يشاهد معلقا عدد من الفراءات الثمينة من كل الانواع وهى تسبح في فيضان من الاضواء الصناعية . والأثر المطلوب هنا هو خلفية فاخرة يحط من قدرها ويبرز سخفها كثرتها وعرضها للبيع — خلفية في نشاز قبيح مع صفاء الضوء ونقاء أشعة الشمس في الشارع نفسه .

(يشاهد يانك ولونج قادمين من الشارع الجانبى

حولنا يشعرني بالألم لا شيء هنا له قيمة . ألا توجد مراحيض خلف هذه الكيمان ؟ هيا بنا نفك حصرنا . كل ما تقع عيني عليه هنا نظيف وهادىء ومزين كالعروش أكثر مما يجب . تفهمني ؟ إنه ليشعرني بالألم .

لونـــــج : اصبر وانتظر وسوف ترى . . .

يانـــــك : ليس من دأبي أن أنتظر أحداً . دأبي الحركة المتواصلة ومع كل فلم قدتني إلى هنا ؟ تريد أن تسخر مني يا مغفل .

لونـــــج : ألست تريد أن تظفر بها ثانية ؟ إنك لم تكف عن قول هـــذا في كل ساعة منذ ألحقت بك الإهانة .

يانـــــك : (بعنف) مؤكد أكرر هذا مراراً . ألم أسع للثأر منها في سوثها مبنون ؟ ألم أتسلل إلى الرصيف وأتربص بها عند سقالة النزول ؟ كنت أود أن أبصق عــلى وجهها الباهت ، أن أبصق في حب عينيها . هذا الذي كان يكـــــون فيه شفاء غليلي . مفهوم ؟ لكن الفرصة لم تسنح . كان هناك جيش بأكمله من المخبرين . وقد التقطوني وأبعدوني . ولم أرهـــا قط . ولكني لن ألبث حتى آخذ بثأري منها وسوف ترى . (بغضب شديد) تلك العاهرة القذرة . تقتل نفساً وتظن أنها تستطيع الهرب – لا – إنها لـــن تنجو من يدي أنا . سأنتقم منها – سأهتدي إلـــى طريقـــــة .

لونـــــج : (يبدى من الامتعاض القدر الذي تسمح به هيبته

يانك : آه . الكنيسة ؟ أتى على وقت كنت أذهب إلى الكنيسة . وذلك عندما كنت صبياً وأجبرني عليه أبي وأمي وان لم يخطوا هما إليهما خطوة واحدة . كانا دائماً يشكوان الصداع صبيحة أيام الآحاد (يكشر عن أنيابه) كانا كلاهما من الكادحين في سبيل اللقمة . فإذا كان مساء السبت وتوفر لهما ما يملأ البطن نشبت بينهما معركة لم يخرج مثلها على مسارح لندن . وبعد أن ينتهيا كنت لا تجد لمنضدة أو لكرسي رجلاً يقف عليها . في تلك المدرسة تعلمت أخذ الثأر (يكشر عن أنيابه ويترنح) أنا الفرع من ذاك الأصل . تفهمني ؟

لونج : هل اشتغل أبوك في البحر ؟

يانك : لا . كان يشتغل في البر . وقد هربت من البيت عندما أصيبت أمي بأمراض الادمان . اشتغلت بعض الوقت في السوق وفي عربات النقل ثم خرجت إلى البحر لأعمل وقاداً فكان هذا أحسن الأعمال ، ولا قيمة لغيره . (يلتفت حواليه) ما رأيت هذا الشارع من قبل . لقد جروني إلى ساحل بروكلين جراً . (يتنفس نفساً عميقاً) هذا الحي لا بأس به .

لونج : لا بأس به . إعلم إن كنت لا تعلم أننا معشر العمال نحن الذين أقمناه بعرق جباهنا .

يانك : (بقرف مفاجيء وغاضب) يا للعذاب . لست أرى هنا أحداً — أعنى واحدة من مثيلاتها — وكل ما

الأشياء لا شك جميلة ولا شك أن لها سعراً عالياً إذا ارتهنت (ينصرف عن الحانوت في سأم) ولكن ما جدواها جميعاً ؟ وليملكوا منها ما شاءوا — بهذه الأشياء لا هي ولا هم يتمون (بحركة من يده المقصود بها إسدال ستار النسيان على الجواهر) كل هذه الأشياء لا في العير ولا في النفير . مفهوم ؟

لونـــج : (وقد اندفع غاضباً نحو دكان الفراء) وهذه أيضاً أظنها لا في العير ولا في النفير . جلــود حيوانات لا حول لها ولا قوة تنحر حتى يتسنى لها ولمثيلاتها أن يدفئن أنوفهن .

يانـــك : (وكان يحدق في شيء في الداخل باستثارة غريبة) ألق نظرة على ذاك وتأمله جيداً . جلد نسناس بألفين أهيف . (في حيرة) هل هذا كلام معقول — جلد نسناس ؟ مصيبة .

لونـــج : (بمرارة) طبعاً . وماذا تنتظر ؟ (بفكاهة قاتمة) إنهم يضنون بهذا المبلغ على جلد لغوريلا — لا بل على الغوريلا ذاته — برأسه وجسده وروحه فــوق البيعة .

يانـــك : (يضم القبضتين وبوجه امتقعه الغضب كأن الجلد المعروض في واجهة المحل إهانة شخصية له) أهكذا يقذفون به في وجهي ؟ والله لأنتقمن منها .

لونـــج : (وقد بدا عليه التأثر) ها هم المصلون خارجــون من الكنيسة وها هم الخنازير الملاعين قادمون . (بعد نظرة إلى وجه « يانك » — يقول بقلق) هون عليك .

أيها الرفيق . تحكم في أعصابك . تذكر أن العنف يحط نفسه بنفسه . وأنه ليس من وسائلنا . وأن علينا أن نحصل على مطالبنا بالوسائل السلمية — بالأصوات الانتخابية للطبقة العمالية السائرة إلى الأمام في جميع أنحاء العالم .

يانك : (بازدراء سحيق) أصوات انتخابية . إلى حيث ألقت . الانتخابات مهزلة . مفهوم ؟ الأصوات للنساء . أتركها لهن .

لونج : (وقد تزايد قلقه) اهدأ . وعاملهم بما يليق لهم من الاحتقار . راقب هؤلاء الطفيليين الملاعين ولكن اشكم نفسك واكبح جماحك .

يانك : (بغضب) ابعد عني . ما أنت إلا جبان . أنا القوة والقوة أنا . القوة الضاربة (يخرج من الكنيسة من جهة اليمين حشد يتهادون في بطء وتكلف ووجوههم مشدودة لا يلتفتون يميناً ولا يساراً ويتحادثون بأصوات بغير نغم ويتكلفون الابتسام . والنساء محدرات مبيضات مصبغات مثقلات بالملابس حتى الأذقان والرجال يلبسون الجاكتات ذات الأذيال والقبعات العالية والجوارب الطويلة ويحملون العصي الخ . موكب من الدمى المزركشة إلا أن فيهم شيئاً من الرعب والقسوة كالذي تتسم به وحوش فرانكشتين من حيث اللاوعي المجرد الآلي) .

أصوات : عزيزنا صاحب النيافة الدكتور سيفاس رجل مخلص . لقد أدركني النعاس أثناء الخطبة . ماذا كان موضوعها؟

عن المتطرفين يا عزيزي . وعن المبادىء الراسخة التى يروجون لها .

علينا أن نقيم سوقاً خيرية أمريكية ماية في الماية .

ونجعل كلاً منا يتبرع بعشر معشار ضريبة دخله السنوية .

فكرة عبقرية .

ونخصص المتحصلات لتحسين كسوة الهيكل .

ولكن هذا فعلناه مراراً وتكراراً .

يانك : (يتفرس فيهم واحداً بعد الآخر . ثم يصدر صوتاً مهيناً من أنفه) ها . ها . (المارة دون أن يبدو عليهم أنهم يرونه يعرجون بعيداً تجنباً للبقعة التى يقف فيها » يانك » في وسط الرصيف) .

لونج : (وقد استولى عليه الرعب) سد فمك هذا . اكبح جماحك .

يانك : (والشر باد عليه) اغرب عنى . ووجه نصائحك تلك لزنوبة ! (يبتعد عنه مترنحا ويلقى بكل جسمه على رجل من ذوى القبعات العالية . ثم يتفرس فيه متحرشا) أتعرف من هذا الذى تصطدم به أنت ؟ اتظن أنك مالك الكون ؟

الرجل : (بدون انفعال) انى آسف جدا . (لا ينظر الى يانك ويمضى تاركا إياه في حيرة)

لونج : (يندفع نحو يانك ويمسكه من ذراعه) هيا بنا ننصرف من هنا . ليس هذا الذى قصدت أن تفعله . سوف تكون سببا في انقضاض البوليس علينا .

يانــك : (بوحشية — يدفعه دفعة تجعله يتبعثر على الارض)
ابعد من هنـــا !

لونــج : (يلم نفسه وينهض — ويقول في حالة هســتيرية) سوف أولى هاربا . لم أوح اليك بشيء من هذا . واذا حدث لك شيء فلا تلومن الا نفسك . (يتلاشى من جهة اليسار)

يانــك : الى حيث ألقت . (يقترب من سيدة — يضحك ضحكة خبيثة ثم يغمز بعينه غمزة فيها تكلف) هالو يا أمورة . ازى الحال يا صغيرتى ؟ يا ترى انت على ميعاد الليلة ؟ أنا عارف طريق قزان قديم في ركــن في الميناء نقدر نندس فيه (تمـــر به السيدة دون صوت أو التفاتة أو تغيير في سرعة السير فيتجه « يانك » الى الآخرين بالشتائم والسباب) أعوذ بالله . ما أقبحك . هلا واريت نفسك قبل أن تراك الخيل فتجمح ؟ وأنت ، وجهك مثل عروسة المولد . دهان وزينــة ومساحيق من أونك لآخرك من أجل أن تسبى — وأنت الاخرى صورتك مثل الاموات المجهزة للرمى في جوش العظم . غوروا كلكم . أنتم رمـــد وقذى في العين . أنتم لا مكان لكم . مفهوم ؟ لم لا يجـــرؤ أحد منكم على النظر الى ؟ لأننى الوحيد الذى له مكان . (يشير الى الجانب الآخر من الشارع حيث تقوم ناطحة سحاب في مرحلة البناء ثم يقول بأسلوب خطابى) ألا ترون العمارة التى تبنى هناك ؟ ألا ترون الصلب فيها أنا ذاك الصلب . أنتم تعيشون عليها

وتحسبون أنكم شيء . ولكني أنا فيها . أنا الآلة الرافعة التي تجعل البناء يرتفع أنا الصميم منها والقاعدة أنا الصلب وأنا البخار وأنا الدخان وغيرها . انظروا اليها . انها تتحرك — انها السرعة — خمسة وعشرون طابقا في السماء وأنا في القمة وفي القاع أتحرك . وأنتم أيها البلهاء لا حراك فيكم . ما أنتم الا دمى ، لعب أطفال املؤها لأراها تدور . أنتم قمامة . مفهوم ؟ البقايا والكناسة التي نرميها في البحر . والآن ما ردكم على هذا ؟ (ولكن لما لم يبد على أحد منهم أنه رآه أو سمع ما قاله فان يانك يستشيط غضبا) ياخنازير ! ياعاهرات . ياموسات ! (ثم يتجه للرجال وهو أشد غضبا فيصطدم معهم بجسمه مثرورا ولكنهم لا يبالون به أدنى مبالاة ولا يخرجون عن سمتهم . بل هو الذي يرتد جسده بعد كل اصطدام ويستمر في الزمجرة) ارفع رحلك من على الارض . ابعد ! لم لا تنظر الى موضع قدمك ؟ تعالوا هنا . قاتلوني . وأنت لم لا تبارزني ارفع قبضتك . لا تكن كلبا . تعال وبارزني والا قتلتك (ولكنهم دون أن يبدو عليهم أنهم يرونه يجيبون بأدب آلي مفتعل « آسف » ثم تسمع صيحة امرأة عند واجهة محل الفراء فيهرع الرجال اليها) .

المرأة : (في نشوة تشهق شهقة فرح) فروة نسناس (الجميع من رجال ونساء يرددون في نفس واحد بنفس النغمة من الفرح المصطنع) فروة نسناس .

يانـــك : (تندفع رأســـه الى الخلف على كتفه دفعة مفاجئة وكأنه تلقى لكمة شديدة في صفحة وجهة ــ فزأر)
أيتك يا ذات الثياب البيضاء . رأيتك يا عاهـــرة ، يا صفراء الوجه . تقولين انى غوريلا ، ســـوف أسلخ جلدك .

(ينكفىء ويجعل تخلخل في بلاط الشارع كأنه يريد يخلعه ويرميه عليهم ويفشل في هذا فيعوى من الغيظ ويقفز الى عمود النور في ركن الشارع ويحاول خلعه ليستعمله كعصا . في هذه اللحظة يسمع صـــــوت أتوبيس قادما . رجل سمين ذو قبعة عالية وجوارب طويلة يعدو قادما من الشارع الجانبي وينادى مستغيثا « اتوبيس . اتوبيس . وقف عنـــدك » فاصطـــدم اصطداما حـــادا بيانك وهـــو في حالة انحنـــاء وتوتر فيفقد يانك توازنه وينكفىء)

يانـــك : (وقد اشتم قرب معركة . يقفز ناهضا على قدميـــه ويزعق فرحا) وأخيرا . الباص . أنا سأبسطك .
(يطوح يده ثم يسدد ضربة فتهوى قبضته على ذلك الوجه السمين فتغوص فيه . ولكن السيد يقف دون حراك وكأن شيئا لم يحدث)

الســـيد : آسف . عفوا . (ثم بشيء من الضيق) ولكنـــك ضيعت عليّ الباص (يصفق بيديه ويأخذ في الصياح) ياحضرة الضابط . ياحضرة الضابط .

(يسمع عدد كبير من الصفارات تدوى في الحـــال ويهجم على « يانك » من كل جانب فيلق من رجال

البوليس . ويانك يحاول أن يقاتل ولكنهم يضربونه بالهراوى ويلقونه على الرصيف . الجموع المحتشدة عند واجهات المحال لم تتحرك ولم تشاهد الحادث .. عربة دورية البوليس بجرسها الرنان تقترب بالضجيج والعجيج) .



المشهد السادس

اليوم التالى مساء . صف من الزنزانات في سجن جزيرة بلاكولز . تمتد الزنزانات في صف مائل من جهة اليمين أماما الى جهة الشمال خلفا . والصف لا ينتهى وانما يختفى في ظلام الخلفية كأنه ممتد الى مالا نهاية . وعدد الزنزانات لا يحصى . مصباح كهربائي واحد في السقف المنخفض في الممر الضيق يلقى ضوءا من خلال القضبان الغليظة للزنزانة التى في أقصى الامام ويكشف جانبا من داخلها .

(ويشاهد « يانك » بداخلها قابعا على حافةسريره في القعدة التى نشاهدها في لوحة« المفكر » للفنان روان . وعلى وجهه كدمات زرقاء وسوداء ورأسه ملفوف بضماد به آثار دم)

يانك : (يفزع فجأة وكأنه تنبه من حلم ويتحسس القضبان ويهزها بعنف ويجهر بالحديث مع نفسه وهو يعجب من أمره) حديد . اليست هذه حديقة حيوان ؟ (قهقهة خشنة كأنها نباح كلاب، تصدر من نزلاء الزنزانات المجاورة حيث لا يرون وتسمع القهقهة على طول صف الزنزانات ثم تنقطع فجأة)

أصوات : (مستهزئة)

حديقة حيوانات ؟ تسمية جديدة لهذا القفص ـ اسم

ما أحسنه . تقول حديد وصلب ؟ كلمة تملأ الشدقين
هذا هـو البيت الحديدى العتيق . من ذاك الأبلـه المتكلم ؟
هو الذى أتوا به وهو يهذى . أوسعه البوليس ضربا وركلا .

يانـك : (بغفلة) لابد أني كنت أحلم حلما . رأيت أني كنت في قفص في حديقة الحيوان — ولكن القردة لاتتكلم. أليس كذلك ؟

أصـوات : (بضحك ساخرا)
أنت بالتأكيد في قفص .
في خـن .
في حظـيرة .
في زريبـة .
في بيت كلاب . (ضحك جاف . ثم صمت)
يا أخانا . قل من أنت ؟ لا — أجب ولا بأس مـن الكـذب .
من تكـون ؟
قص علينا قصتك المحزنة . ما فرع تخصصك ؟
ولماذا اعتقلوك ؟

يانـك : (بغفلة) كنت وقادا — فحاما على احدى عابـرات المحيط (ثم بغيظ مفاجيء يهز قضبان الزنزانـة)
أنا غوريلا . مفهوم ؟ سأدق أعناقكم ان لم تكفوا عن ممازحتي .

أصـوات : عندما تبصق — بصقتك تقفز كالكره . (ضحك)

كفوا . انه شخص لابأس به . ألست كذلك يا . . .؟
بماذا يسمى نفسه – غوريلا .

يانـــك : (متحديا) بالتأكيد . وهل أنتم جميعا الا غوريلات؟
(صمت يتلوه هز عنيف للقضبان على طول الصف)

صـــوت : (يخنقه الحنق)
ستعرف أينا الغوريلا ياحمار .

أصـــوات : ش ش ش اخسأ .
انســـد .
مهـــلا
سوف تجعل السجان ينهال علينـــا .

يانـــك : (باحتقار) السجان ؟ ألستم تعنون حارس حديقـــة الحيوان ؟ (احتجاجات غاضبة من جميع الزنزانات)

صـــوت : (مهدئا) لا تبالوا بما يقول . لقد طاش صوابه مـــن أثر العلقة التى نالهـــا .

يا أخي . نحن مشغوفون بأن تحدثنا عن السبب الذى من أجله قبضوا عليك . هلا حدثتنا ؟

يانـــك : بالطبع . سأحدثكم بالتأكيد . وماذا يمنعنى من ذلك؟
ولكنكم لن تفهموني . انه لا يفهمنى الا نفـــسى .
أخذت أروى للقاضى روايتى فما زاد على أن قال « شهر في السجن لتفكر وتفصح عـــن أفكارك »
« افكر » يا إله السماء . وماذا كنت افعل طيلة هذه الاسابيع ، سوى التفكير ؟ (بعد لحظة صمـــت)
كنت أسعى للثأر لنفسى من شخص ما . مفهـــوم ؟

لطختني بالوحـــل .

أصـــوات : (في غير تصديق)
القصة القديمة المعادة ولا شك . أليست هي عشيقتك؟
ألم تخدعـــك ؟
هكذا النساء على الدوام

يانـــك : (بازدراء) ألم أقـــل انكم ستعجزون عن ادراك مقصودى وتتخبطون ؟ طبعا كان في الأمر امرأة من ذوات ـ الجونلات . ولكن الامر ليس كمـــا تزعمون ـ ليس من قبيل ذلك السخف المألـــوف. تلك كانت امرأة من نوع آخر . كانت في اكمل زينتها ثيابها بيضاء من قمة رأسها الى اخمص قدمها . بهذا ظهرت في عنبر الوقادين . فحسبتها شبحـــا . صحيح . (فترة صمت)

أصـــوات : (في همس)
انه ما يزال مخبولا .
دعوه يهذى ففى الانصات اليه متعة .

يانـــك : (دون أن يحفل بهم – يتحسس ويتلمس افكـــاره) يداها – كانتا شديدتى النحافة ناصعتى البياض كأنهما غير حقيقتين بل رسم على ورق . كانت تفصلنى عنها ملايين الاميال وكل ساعة تضيف خمسا وعشرين عقدة . لقد بدت وكأنها فأر ميت أتى به قط . جيفة . لم يكن لها مكان هناك . كان مكانها في فترينة محـــل لبيع اللعب او فوق صندوق للقمامة مفهوم ؟
(ينطلق في عصبية) ومع ذلك فربما لا تصدقون انها

تجرأت على اهانتي ولطختني بالوحل . لقد نظرت الي وكأنها رأت حيوانا هاربا من حديقة الحيوان . يا الهي ! كان يجب أن تروا عينيها في ذلك الوقت (يهـــز القضبان بحنق) ولكن سترون اني ســـأعاود البحث عنها وان لم اظفر بها فسوف استخلص حقي من العصابة التي تسايرها . واني لأعرف الآنمراحهم ومغداهم . سوف أريها أينا الاصل . سوف أريهـــا من منا المتحرك ومن منا غير ذلك واشهدكم على قولي هذا .

أصـــوات : (جادة وهازلة)
هكذا الشجاعة .
ولتنتقم منها مهما أوتيت .
وعلى كل من تكون تلك الهانم وما اسمها ؟

يانـــك : لا أدري . كانت من ركاب الدرجة الاولى . ويقال ان أباها مليونير — اسمه دوجلاص .

أصـــوات : دوجلاص ؟ انه رئيس شركة الصلب بالتأكيد . لقد رأيت صورته في الجرائد . انه يتمرغ في الملايين .

صـــوت : ها يا أخ اسمع نصيحتي — اذا كنت تريد أن تقتص منها فعليك بالانضمام الى الع . ص . ع . عندئذ تستطيع أن تنجز شيئا .

يانـــك : ومن يكون هؤلاء ؟

صـــوت : ألم تسمع بالع . ص . ع . ؟

يانـــك : لا ما هو ؟

صـــوت : عصابة رجال ـ رجال أشداء . كنت اقرأ عنهم اليوم في الصحف . أعطاني السجان جريدة الصنداي تايمز . وفيها عنهم كلام كثير . كلام منقول من خطبـــة ألقاها في مجلس الشيوخ عضو اسمه السناتور مليكه (هذا الصوت لمتحدث في زنزانة مجاورة ليانك ـ يسمع حفيف ورق) انتظر . علي ان اجد من الضوء ما يمكنني من قراءتها عليك . استمع (يقرأ) هنالك في هذا البلد خطر قائم يتهدد حيـــاة جمهوريتنا العادلة خطر لا يقل بشاعة في تهديده لصميم كيان النسر الامريكي عن بشاعة تلك المؤامرة التي حبكت أطرافها كتالين ضـــد نســـور روما القديمة .

صـــوت : الى حيث ألقت . قل له ، رش ملح على ذنب ذلك النسر .

صـــوت : (يقـــرأ) أعني بذلك اخوان الشياطين ، محترفي الاجرام ، القتلة ، سفاكي الدماء ، هؤلاء الذين يسيئون الى العمال الشرفاء بتلقينهم انفسهم « عمـــال الصناعة في العالم » ولكني نظرا الى مكائدهم الدنيئـــة ادعوهم « ادوات التخريب في العالم »

يانـــك : التخريب ؟ مرحبا بهذا الدواء الذي ليس لي بدونه شفاء . انا معهم .

صـــوت : شي شي شي (يقرأ) « هذه المنظمة الشيطانية قرحة خبيثة في جسم ديمقراطيتنا الجميلة » ـ

صـــوت : ديمقراطية ، ألا سحقا . أبصقوا عليه يا رجـــال (يفعلون)

صـــوت : شي شي شي (يقرأ) « واني لأقول مخاطبا هـــذا المجلس الموقر كما خاطب كاتو مجلس الشيوخ في روما . ان ع . ص . ع . يجب ان تجتث من جذورها فانها بمثابة خنجر مشهور دائما ومصوب الى قلب أعظم أمـــة عرفها التاريخ . يولد أبناؤها جميعـــا احرارا سواسية متساوون في الفرص وقد ضمن لهم السعادة كافة الاجداد والاسلاف وطن حيث الحـــق والشرف والحرية والعدالة وأخوة بني الانسان ديـــن يتشربه الرضيع مع لبن أمـــه ويتعلمه في حجر ابيـــه ويجده موقعا ومصدقا عليه ومختوما في الدستور المجيد – دستور هذه الولايات المتحدة » .

(عاصفة من الصفير والأزيز والتسخيف والضحك الخشـــن)

أصـــوات : (باحتقـــار) يعيش ٤ يوليو .

مـــروا بالقبعة . (أي لجمع التبرعات)

الحـــرية .

العـــدالة .

الشـــرف .

أصـــوات : الفـــرص .

الاخـــاء .

الجميـــع : (باحتقار سحيق)

الى حيث ألقت .

صـــوت : انبحوا على هذا السناتور مليكه . كلنا مع بعض ، واحد ، اثنين ، ثلاثة .

(يسمع نبـــاح جماعى كنباح الكلاب)

السـجان : (من بعيد) انتم هناك . اسكتوا والا اتيت بالخرطوم (الصوت يتوقف)

يانـك : (غاضبا مزمجرا) من لى بهذا السناتور أقبض عليه ولو لدقيقة . واذن لعلمته بعض الحقيقة .

صـوت : شى شى شى . وهنا يأخذ في تفصيل المآخذ على القوم المتقلبين . (يقـرأ) « انهم يتآمرون والنـار في يد والديناميت في اليد الاخرى ولا يحجمون عن القتل في سبيل تحقيق أهدافهم لا ولا عن هتك النساء العزل يودون أن يقوضوا دعائم المجتمع ويحلـوا اراذل الناس محل أكابرهم ويقلبوا نظام العالم رأسـا على عقب — هذا النظام الذى أبدعه الخالق جـل جلاله . يودون أن يحيلوا مدنيتنا هذه الطيبة الحبيبـة الى مجازر ثم الى خراب سرعان ما يرتد فيه الانسان وقد ابدعه الله في أحسن تقويم الى غوريلا في أسفل سافلين .

صـوت : (يوجه الحديث ليانك) ها يا أخ . اليك مزيدا عن الغوريلات .

يانـك : (غاضبا مزمجرا) . افهم ما يقول . واذن همينسفون الاشياء نسفا ويقلبونها قلبـا ، أليس كذلك ؟ أعرنى هذه الجريدة ، تسمح ؟

صـوت : طبعا . أعطه اياها . على شرط أن تحتفظ بها لنفسك . اما نحن فلا نريد أن نسمع لمزيد من هذا السخف .

صـــوت : هاك الجريدة . اخفها تحت فراشك .

يانــك : (مادا يده) اني لا أحسن القراءة ولكني ســأحاول (يجلس والجريدة في يده جلسة « المفكر » للفنـــان رودان . لحظة صمت – يسمع غطيط من الزنزانات الاخرى . وفجأة يقفـــز يانك واقفا على قدمه يتأوه بغضب وكأن خاطرا بشعا قد ألقى في روعه) حقا – بزها – رئيس شركة الحديد والصلب – يصنع الحديد والصلب لنصف العالم – الصلب الذى كنت أظن أني قطعه منه أحركه وأسيطر عليه . أبوها يصنع هذا الصلب فيصنعها هي – ويحبسني في قفص منه لكي تبصق عليّ – يا لله . (يهـــز قضبان الزنزانة فتهتز جميع الزنزانات – نسمع صيحات احتجاج من الذين ازعجوا من نومهم ومن الذين كانوا يحاولون النوم) لقد صنع هذا القفص . من الصلب . الصلب لا مكان له ولا خير منه . منه الاقفاص ومنه السجون ومنـــه الاقفال ومنه المتاريس ومنه القضبان – يعتقلني فيها ويجلس هو على قمتها . ولكني سوف انفذ منهـــا . بالنار – النار تذيب كل هذا – سوف أكون أنا النار – النار التي من تحت الهشيم – النار التي لا تخبوا أبدا – نار حامية كالجحيم – النار التي تندلع في الليل. (كان وهو يقول هذا يؤكد كل جملة بهـــزة عنيفة لبـــاب الزنزانة حتى اذا وصل الى موضع الهرب قبض على قضيب بيديه ، شد بقدميه على القضبان الاخرى فأصبح في وضع مواز للارض مثل الوضع الطبيعي للحيوان (القرد) وشرع في انتزاع القضيب

الى الخلف . فيلتوى القضيب بفعل قوته الجبارة كأنه عصا خيزران . وفي هذه اللحظة يهرع اليه السجان يجـــر خلفه خرطوما)

السـجان : (بغضب) كيف تجــرؤ على ايقاظى ، تبـا لك . (يرى يانك) هلو . أهو أنت ؟ هو هو . أأنتمصاب بأمراض الادمان ؟ سأداويك منها . سأشفيك من الخبال والخبال . (يلاحظ القضيب المثنى) أعوذ بالله . تصور هذا القضيب مثنيا . انه لا يقــدر على ثنيــه الا عتــل جبــار .

يانــك : (ناظرا اليه شزرا) أو غوريلا كثيف الشعر ياجبان . احذر . هأنذا خارج اليه . (يعالج قضيبا اخر)

السـجان : (وقد استولى عليه الرعب وأخذ يصيح الى جهــة اليسار) يا بن Ben افتح صنبور الخرطوم على الاخر وناد الاخرين واحضر بدلة المجانين .

(الستار ينزل بينما يحتجب يانك عن النظر . يشــاهد سيل المــاء يتدفق بشدة ويتناثر وهو يصطدم بحــديد زنزانة يانك)

ســـــتار

المشهد السابع

(بعد مرور شهر تقريباً . فرع المنظمة الدولية لعمال الصناعة بالقرب من الشاطىء يظهر منه داخلية الغرفة الأمامية في الطابق الأرضي ، كما يظهر الشارع خارجها . ضوء القمر يغمر الشارع الضيق ، والمباني متراصة في ظلال داكنة وداخلية الغرفة — وهي تستعمل لاجتماعات الجمعية العمومية ، كما تستخدم مكتباً وغرفة مطالعة — تشبه منتدى للصبية في حي بلدي . يوجد في إحدى زواياها قمطر وكرسي طويل الأرجل وبلا ظهر . وفي وسط الغرفة منضدة عليها أوراق وأكداس من الكتيبات ، وحولها عدد من الكراسي . كل شيء في الغرفة يوحى قطعاً بالرخص والرداءة والابتذال . وتخلو الغرفة من الذوق الجيد ومن الغموض الذي يشحذ الخيال . سكرتير الفرع جالس على الكرسي العالي وأمامه دفتر كبير يدون فيه القيودات . وهو يلبس حاجباً لحماية عينيه من الضوء فيظهر لوجهه خيالات على الجدران . ثمانية أو عشرة رجال . حمالون وعمال مصانع الحديد ، وما أشبه ، يجلسون حول المنضدة ، اثنان منهم يلعبان الدما وواحد يكتب خطاب ؛ والجميع يدخنون الغليون . في لافتة كبيرة على الجدار الأقصى نقرأ « المنظمة الدولية لعمال الصناعة — فرع رقم ٥٧ ».

(يظهر يانك ماشياً في الشارع خارج المبنى مرتدياً نفس الزي الذي رأيناه في المشهد الخامس . يتحرك بحرص وحذر كالجاهل بالطريق . يصل إلى نقطة مقابل باب الفرع ويسير على أطراف أصابعه متجهاً إليه . يتسمع فيبهره السكون في الداخل . ثم يدق

الباب بحذر شديد وكأنه يحزر كلمة السر التى لا بد منها للدخول على احتفال من احتفالات الطقوس . يتسمع . لا جواب . يدق الباب ثانية دقة أعلى قليلاً . لا جواب . يدقه بنفاد صبر دقة أعلى كثيراً) .

السكرتير : (مستديراً على كرسيه العالي) اللعنة ! ما هذا — من يدق الباب ؟ (يرفع صوته) أدخل . الباب مفتوح . (الرجال الجالسون في الغرفة يرفعون أبصارهم . يانك يفتح الباب في بطء وتعثر ، كالخائف من كمين . ينظر حواليه مفتشاً عن أبواب سريه وأسرار خفيه ويجزع من كلاحة الغرفة والجالسين فيها ويخيل إليه انه ربما أخطأ المكان الذي يقصده حتى حتى يرى اللافته التى على الحائط فيطمئن) .

يانك : (الكلام يخرج من فيه كالهواء المضغوط) هالوا . .

الرجال : (بتحفظ) : هالوا

يانك : (متخففاً قليلاً من حرجه) : ظننت أننى ربما هبطت في مخبأ غير الذي قصدته .

السكرتير : (يتفحصه بدقة) : ربما . هل أنت عضو ؟

يانك : لا . ليس بعد . وهذا ما جئت من أجله . جئت لأنضم.

السكرتير : أمر بسيط . ما عملك — حمال ؟

يانك : لا . أنا وقاد — وقاد على بواخر الخطوط الثابتة .

السكرتير : (راضياً) : أهلاً بك في مدينتنا . شيء مفرح أن نعلم أن البحارة أخيراً قد هبوا من سباتهم . ليس في المنظمة أعضاء كثيرون من البحارة .

يانـــك : كلهم ما يزالون يغطون في نوم عميق .

السكـــرتير : إذن ستساعد أنت في إيقاظهم . ما اسمك ؟ لكى أصدر لك بطاقة

يانـــك : (مرتبكاً) : اسمي ؟ دعنى أتذكر .

السكـــرتير : (بحدة) : تتذكر إسمك — نسيته ؟

يانـــك : طبعاً لا . لكنى منـــذ مدة طويلة ينادونى يانك بوب . الآن تذكرت بوب سميث .

السكـــرتير : (وهو يدون الاسم) : روبرت سميث . (ثم يملأ بقية البطاقة) تفضل . رسم الاشتراك نصف دولار

يانـــك : أهذا كل المطلوب ؟ أربعة قطع ؟ بسيط (يناول النقود للسكرتير) .

السكـــرتير : (يلقيها في درج) : شكراً . الآن خذ راحتك كأنك في بيتك . لا حاجـــة لتقديمك للموجودين . هناك نشرات إعلامية على المنضدة . خذ من هذه الكتيبات معك لتوزعها على زملائك في الباخرة التى تعمل فيها . قد تأتي ثمرة من وراء ذلك . ابذر البذور ، ولكن عليك بالحذر والحيطة . لا تدعهم يكشفون أمرك ويفصلونك . لدينا الكثير من المتعطلين . وإنما نريد رجالاً يمكنهم الاحتفاظ بأشغالهم ويستطيعون في نفس الوقت أن يخدموا القضية .

يانـــك : أكيد (لكنه ما يزال واقفاً في حالة من الحرج وعدم الراحة) .

السكـــرتير : (ناظراً إليه بشيء من الاستطلاع) : لماذا طرقت

الباب ؟ هل تصورت ان عندنا ساع ببدلة رسمية مخصص لفتح الباب ؟

يانـــك : لا . لكن ظننت ان الباب مقفل ، وأنك كنت تحب أن تلقى على نظرة من خلال ثقب الباب لتتأكـــد من أنني مقبول .

السكـــرتير : (أخذ حذره وتشككك ولكنه يضحك بغير تكلف) : تصورت أننا نلعب لعبة غير مشروعة ؟ من الـــذي أدخل هذا الظن في روعك ؟ هذا الباب لا يقفل قط

يانـــك : (بابتسامة العارف المقتنع بأن كلام السكرتير ليس إلا تمويهاً ، وجزء من اللعبـــة السرية) : البلـــد ملأى بالمخبرين ، أليس كذلك ؟

السكـــرتير : (بحدة) وما شأنهم بنا ؟ نحن لا نخرق القوانين .

يانـــك : (بغمزة عين العارف) : أكيد ! أنتم لا تفعلون ذلك ولو أعطيتم الدنيا . أكيد ! أنا أعلم ذلك .

السكـــرتير : يبدو أن عندك علم بأشياء كثيرة لا يعلم أحد منـــا عنها شيئاً .

يانـــك : (غمزة أخرى بعينه) صحيح ! تمام ! (وقـــد أغضبته نظرات الشك من جميع من حوله) معقول ؟ لا داعي لأن تضعنى موضع الاختبار القاسي . ألا ترى أنني أنتمى إليكم ؟ واحد منكم ؟ أكيد ! أنا نظامي . أنا صامد لا أتراجع ، فاهمنى ؟ أنا مستعد لإطلاق النار على المصانع إذا شئتم . ولهذا أردت أن أنضم إليكم .

السكـــرتير : (بخفة روح مستدرجاً إياه) هكذا الروح العالية وإلا فلا ! لكن أولاً هل أنت متأكد أنك تفهم طبيعة ما انضممت إليه ؟ كل أمورنا هنا واضحة كالشمس في رائعة النهار . لا سرية ولا تخفى . ومع ذلك يحلو للبعض أن يسيئوا فهم مقاصدنا . ما هو تصورك عن الغرض من المنظمة الدولية لعمال الصناعة ؟

يانـــك : أعرف كل شيء عنها .

السكـــرتير : (بتهكم) إذن أعطنا نموذجاً من معلوماتك القيمة .

يانـــك : (بمكر) أعرف ما يكفى ليجعلنى لا أتكلم في غير دوري . (ثم مغضباً مرة أخرى) اسمعنى ! أنـــا نظامي . وأعـــرف اللعبـــة . أعرف أن عليكم أن تكونوا حذرين مع الأغراب . فما يدريكم أننى ربما أكون مخبراً سرياً في ملابس مدنية ، أو شيء من هذا . أليس هذا ما تظنون بي ؟ دعك من هـــذا يا رجل . ألا ترى أننى أنتمى ؟ اسأل من تشاء من هنا حتى الميناء ؟ إذا قالوا شيئاً غير ما قلت .

السكـــرتير : ومن قال أنك غير هذا ؟

يانـــك : وسوف أبرهن لك بعد أن آخذ العهد .

السكـــرتير : (منذهلاً) عهد ؟ نحن لا نعطى عهوداً ولا نقيـــم طقوساً .

يانـــك : (وقد أصيب بخيبة أمل) لا عهود ولا كلمة سر ولا شد على الأيدي ولا شيء !

السكـــرتير : ماذا تظن بهذه المنظمة — رابطة الالك ELKS أو عصابة اليد السوداء .

يانك : رابطة الالك ـ عليهم اللعنة ، عصابة اليد السوداء ـ ما هم إلا قطيع . من الخنازير مؤخراتهم وسخة .

السكرتير : لا فض فوك ! أما نحن فنقف على قدمينا علناً أمام الملأ . ولا نفعل شيئاً في الخفاء .

يانك : (دهشاً لكنه معجب) : هل معنى كلامك أنكم تعملون في وضح النهار مثل هذا ؟

السكرتير : تماماً .

يانك : إذن بالتأكيد أعصابكم قوية .

السكرتير : قل لي بالضبط ما الذي جعلك ترغب في الإنضمام إلينا ؟ أجب بصراحة .

يانك : تريد الصراحة ؟ حسناً ، أنا أيضاً أعصابي قوية . هاك يدي . ألستم تريدون أن تحطموا الأشياء ؟ وأنا كذلك . أنا منتمى .

السكرتير : (متكلفاً عدم الإهتمام) : تقصد تغيير حالة عدم المساواة في المجتمع بالعمل المشروع المباشر ـ أو بالديناميت .

يانك : بالديناميت ! نسفها من على ظهر الأرض ـ الصلب ـ جميع السجون ـ جميع المصانع والبواخر والمباني والمعتقلات ـ هيئة الصلب والحديد وكل ما يجعلها تسير .

السكرتير : هذه ، اذن ، فكرتك ! وهل لديك مهمة خاصة في هذا المشروع تريد ان تقترحها علينا ؟

(يُصدر اشارة خاصة الى الرجال فيتجمعون خلف

ظهر يانك) .

يانـــك : (بجساره) أكيد ! سأظهر لك ما أبطن . انا واحـــد منكم . هنالك مثلا ذلك المليونير دوجلاص . .

السكرتير : تقصد رئيس هيئة الصلب ؟ هل تريد اغتياله ؟

يانـــك : . لا . . ليس من ذلك فائدة . . انما قصدى أن تنسف المصانع والورش حيث يصنع الصلب . هذا ما أنشده . . أن أنسف الصلب ليتطاير كل ما في العالم مـــن صلب الى عنان السماء . وفي ذلك صلاح الدنيـــا . (بحماسة ولمسة من المباهاة بالشجاعة) سأفعل ذلك بمفردى ! فقط قل لى أين هى ورشه ، وكيف اصل اليها ، وكل مايلزم . وأعطنى المونه ، الديناميت ، والباقي علىّ ، وشاهدوني وأنا أفعله ، شاهدوا الدخان وهو يتحرك . ولن أبالى إن قبضوا على – بعـــد أن أكون قد نفذتها – سأوضع في السجن مدى الحياة ، وأضحك منهم ملء شدقي . (كأنه يكلم نفسه) . . وسأكتب لها خطابا أقول فيه : الغوريلا فعلها . بهذا أرد الصاع صاعين .

السكرتير : (مبتعدا عن يانك عدة خطى) : شيء عظيم جـــدا (يصدر اشارة للرجال – وكلهم وحوش – فيلقون بأنفسهم على ياناك ويطرحونه ارضا ، وفي لمح البصر يقيدون رجليه وذراعيه . ولكنه في حالة من الاعياء لا تمكنه من المقاومة . يتحسسونه بحثا عن أسلحة) .

احد الرجال : لا مسدس ولا سكين . هل نعطيه الذى فيه النصيب ونذيقه طعم الحـــذاء ؟

السكرتير : لا ، انه لن يساوى المتاعب التى سنعرض أنفسنا لها بسببه . انه أغبى من ذلك . (يقترب من يانك ويضحك مستهزئا في وجهه) هاها ! والله انها لآخر نكته يوجهونها لنا حتى الآن ! هو ، ياحضرة النكتة ! ايهما سلطك علينا - بيرنز Burns أو بنكرتون Pinkerton ؟ لا والله ، أنت قفل ومغفل وغبى ، أراهن على أنك في المخابرات السرية ! حسنا ، ياأيها الجاسوس القذر ، أيها العميل المحرض النتن . ارجع الى الوغد الذى بعثك ودفع لك نقود ملعونة مقابل خيانتك لاخوانك ، وقل له انه يضيع ماله هباء . . أنت أضعف من أن تقبض على قطة . وقل له ان كل ما سأخذه عليه او ما أخذه ، ليس الا تلك المؤامرات الجبانة التى يدبرها لكى يزج بنا في السجون . نحن لسنا الا ما يقوله عنا اعلان مبادئنا لا اكثر ولا أقل . ونحن مستعدون أن نعطيه نسخة من الاعلان في أى وقت يريد ان يشرفنا بالزيارة . أما أنت (يحدق باحتقار في يانك الذى يبدو كالذى سقط في سبات أنساه كل شيء) فلا فائدة من الكلام معك . فما أنت الا غوريلا بلامخ .

يانك : (وقد نبهته الكلمة الى ضرورة المقاومة العنيفة لكنه أضعف من ذلك) : ما هذا أيها الغشاش .

السكرتير : ألقوا به الى الشارع يا رجال !

(بالرغم من مقاومته يرميه الرجال في الشارع باستمتاع وهمة وترحيب . وبعد ان تشيعه عدة

ركلات يتدحرج جسم يانك حتى يستقر في وسط الشارع الضيق المبلط بالحصى ويفترشه . بعواء كعواء الوحش يشرع في أن ينهض ويقتحم الباب المغلق ، لكنه يقف مكتوف اليدين بسبب الارتباك الذى حل بذهنه . فيجلس من العجز الذى يشير الاشفاق ، يجلس مطرقا في حالة تقرب من هيئة لوحة « المفكر » للفنان رودين بقدر ما يسمح به وضع يانك) .

يانك : (بمرارة وسخرية) حتى هؤلاء العباقرة أيضا لا يعتقدون اني انتمى اليهم . فليذهبوا الى الجحيم ! ضالين ملاعين ! الدجل إياه ، جيش الخلاص ، وصناديق الصابون الفارغة والخطب العقيمة . جبناء . . سأكون سعيدا لو انقصوا ساعة من ساعات العمل اليومي ! سأكون سعيدا لو رفعوا أجرى دولاراً في اليوم ، آه . ثلاث دولارات في اليوم ، وقرنبيط في الحديقة ، وحقوق متساوية ، وامرأة وأطفال . . . وصوت مزعج في الانتخابات . . . وبعد هذا سأكون كلي حمد وشكر للمسيح ، هه ؟ وما قيمة ذلك كله ؟ سر المشكلة في داخلك ، ولكنه ليس في بطنك . حشو بطنك بالطعام والشراب لا يمسه ، لا يمس الشيء الذي بداخلك . انه غائر ، غميق ، في القاع . لا تستطيع أن تمسك به ولا أن توقفه . يتحرك فيتحرك كل شيء ، ويقف فتقف الدنيا كلها . هكذا أنا الآن . جثة هامدة ، لا حراك فيها . أنا مثل بالون انجرسول Ingersol بعد

أن انفجر ٭ كنت صلباً فملكت العالم وانكسرت فملكني العالم . اللعنة ! لقد فقدت الرؤية — الظلام دامس ، أتفهمني ؟ (يدير وجهاً يقطر بالمرارة والتهكم ، وجهاً كوجه قرد يرطن للقمر) اسمع يا من هناك ، يا من في السماء . أنت تبدو حكيماً ، فهلا أجبتني على سؤالي ؟ أسقط علي شيئاً من البصيرة والمعلومات السديدة . . . إلى أين أذهب من هنا ؟

شرطـــي : (وصل في وقت سمح له بسماع السؤال الأخير فيقول بلهجة مـــزاح ثقيل) : تذهب إلى مركـــز الشرطة يا أحمق إذا لم تنهض على قدميك وتتحرك من هنا . . . .

يانـــك : (ناظراً إليه بوجه جامد تعلوه ابتسامة مرة) : أكيد ! اسجني ! ضعني في القفص ! هذا جوابكم الوحيد على كل مشكلة . تفضل احبسني . . . !

الشرطـــي : ماذا كنت تفعل ؟

يانـــك : فعلت ما أستحق عليه السجن مدى الحياة ! ولدت في هذه الدنيا ، فاهم ؟ هذه هي جنايتي بالفعـــل . سجلها في دفترك . لقد ولدت ، افهمني !

الشرطـــي : (مازحاً) : كان الله في عون التي ولدتك (بلهجة عادية) ولكن ليس لدي وقت للمزاح . أنت مخمور . لولا أن الطريق طويل إلى مركز الشرطة لأخـــذتك إليه . . هيا الآن ، انهض ، وإلا شويت وجهك بهذا النبوت . هيا قم !

(يرفع يانك حتى يقف على قدميه)

يانـــك : (في لهجة غامضة هازئة) : قل لي أين أذهب من هنـــــا ؟

الشرطـــي : (يدفعه وبضحكة غير مبالية يقول) : تذهب إلى الجحيـــــم .

(ستار ،

المشهد الثامن

(اليوم التالى — ساعة الشفق . بيت القردة في حديقة الحيوان . بقعة من الضوء الرمادى الصافي تسلط على مقدمة أحد الأقفاص لكى تمكن رؤية ما بداخله . أما الأقفاص الاخرى فيلفها غموض ظلال وتسمع همهمات تأخذ شكل نبرة الحديث وعلى القفص المضاء لافته تبرز فيها كلمة « غوريلا » . أما الحيوان الضخم ذاته فيرى قاعدا القرفصاء على مقعد ويشبه في جلسته « المفكر » للفنان رودين . يدخل يانك من اليمين وعلى الفور تنطلق جوقه من الهمهمات والحربشات الغاضبة . الغوريلا يدير بصره لكنه لا يأتي بصوت أو بحركة) .

يانـــك : (يضحك ضحكة جافة مرة) : هكذا ترحب بك مدينتك ! أهلا ! يأهلا ! الشـــلة كلها هنا ! (لدى سماع صوت كلماته تتلاشى الهمهمات ويعقبها صمت المترقب . يتجه يانك الى قفص الغوريلاويحدق البصر وهو متكىء على قضبانه ، يحدق البصر في شاغله الذى يبـــادله التحديق في صمت وســـكون قاتلين . ثم يشرع يانك في التحدث بنبرة ودية وكأنه يفضى بسر ، في لهجة شبه هازئه ، ولكن يخالجهـــا تفهم عميق) . بنيتك قوية كالصلب ، ما شاء الله ! كم رأيت من فتية أشداء يسمونهم غوريلا ، لكنك اول غوريلا حقيقى أقابله . . ياله من صـــدر رحب وأكتاف عريضة ! وهذان الذراعان وتلك القبضـــة الحديدية ! انا متأكد أنك بضربة واحدة ، بلكمة ،

تستطيع أن تطرحهم جميعا أرضا ! (يقول هـــذا
باعجاب خالص. يقوم الغوريلا واقفا على قدميه، وقد
شعر بأهميته .يدق على صدره بقبضته إذ يعلو وينتفخ.
يفتر ثغر يانك عن ابتسامة فيها مشاركة)أفهمك أكيد..
انت تتحدى العالم أجمع ، أليس كذلك ؟ لقد فهمت
ماكنت أقوله لك وان كنت قد أضغمت في ردك .
(ثم تتسرب اليه المرارة) وهل هناك ما يمنع من ان
تفهمني ؟ ألسنا عضوين في نفس النادى ؟ — نادى
القردة الكثيفة الشعر ؟ (يحملقان بعضهما في بعض
ثم يستمر يانك في بطء ومرارة) اذن أنت الذى
رأتك هي حين نظرت الىّ ، رأت فيّ صورتك ،
ذات الوجه المتقع البياض ! في عينيها أنا كنت
أنت ، أتفهمني ؟ فيما عدا انى خارج القفص ،
طليق حـــر استطيع أقتلها . هذا ما ظنت هى ، ولم
تدرك انى ايضا في قفص — اضيق من قفصك وألعن
بالتأكيد ، لأن لديك فرصة ! ان تحطم القضبان
وتفر من سجنك . اما أنا (يصيبه الاضطراب)فاللعنة
عليهم ! ظلم في ظلم ، أليس كذلك ؟ (وقفـــة)
هل تريد أن تعرف ماذا أفعل هنا ؟ جلست على مقعد
وتسمرت فيه منذ ليلة أمس رأيت الشمس تطلع ،
أكيد شيء جميل ، كل الالوان : الاحمر والوردى
والاخضر ؛ وكنت أنظر الى ناطحات السحاب —
من الصلب — ، والى البواخر الداخلة والخارجة —
الى جميع أنحاء العالم — وهى جميعا من الصلب .
وكانت الشمس حارة ، ولم يكن هناك سحاب ،

وهب نسيم . أكيد ، كان شيء عظيم ، وعرفته تماما . صدق بادى فيما قاله عنه ، لكنى لم استطع ان أهضم علمه ، لم أنتم الى علمه ، كان شيئا يعلو على فهمي . وجعلت أتفكر . ثم توجهت الى هنا لأرى هيئتك وكيف تبدو ، وبقيت حتى انصرف الجميع لكى أجدك على انفراد . قل لى ما شعورك وأنت قاعد دائما في هذه الحظيرة ، وعليك أن تقف اذا أتوا للفرجة عليك والتسلى بمنظراك ، أصحاب الوجوه البيضاء المتقعة ، العاهرات الهزيلات ، والمغفلون أزواجهن ، يجعلونك تسلية لهم ومضحكة ، ويمثلون الخوف والانزعاج منك — اللعنة عليهم ! (يدق يانك على قضبان القفص بقبضته ، فيرج الغوريلا القضبان ويكشر عن انيابه ، ويرد سائر القردة بهمهمة غاضبة في الظلام ، ويانك مستمر في حالة اثارة) أكيد ! . وهذا الذى يوجعنى أنا أيضا لكن أنتم محظوظون ، هل تعرف لماذا؟ أنتم لاتنتمون اليهم ، وأنتم تعرفون ذلك لكن مصيبتى أننى انتمى اليهم ولا أنتمى ، هل تفهم قصدى ؟ وهم لا ينتمون الى . هذا هو الوضع ، مفهوم ؟ التفكير شيء صعب (يمرر يدا على جبهته ويأتى بحركة تدل على الألم. يزمجر الغوريلا وقد ضاق ذرعا ، ويستمر يانك وكأنه يتحسس بحثا عن الكلمات) هو ذا ، هو ذا الذى أرمى اليه . . انت تستطيع ان تجلس وتسبح في احلام الماضى ، تحلم بحياتك في الغابة وفي المروج وغير ذلك . وهنا أنت تنتمى

وهم لا ينتمون . وهنا يمكنك ان تجعل منهم أضحوكة هل تفهم ما أقصد ؟ أنت بطل العالم . اما أنا فلا ماضى لى أفكر فيه ، ولا مستقبل الا ما هو كائن الآن — وهذا لا انتماء فيه . أكيد ، أنت الأحسن حالا ! أنت لا تستطيع أن تفكر ولا أن تعبر ، أما أنا فاستطيع أن اوهم بالتفكير والتعبير ، وأكاد ان يصدقونى — أكاد — ومن هنا تأتى النكتة . (يضحك) أنا لا في الارض ولا في السماء ، أتفهمنى ، أنا بين الاثنين أحاول ان أفصل بينهما ، وأتلقى الضربات من كليهما — ربما كان هذا هو ما يسمونه بالجحيم أما أنت — أنت في الحضيض ، أنت تنتمى ، أكيد ، أنت الوحيد في العالم الذى ينتمى . أنت محظوظ . (الغوريلا يزمجر بفخر) ولهذا كان لابد لهم أن يضعوك في قفص . فاهم ؟ (الغوريلا يزأر غضبا) أكيد انت تفهمنى تشعر بالعجز اذا حاولت التفكير فيها او التعبير عنها . انها بعيدة — في الأعماق . ولكن أنت وأنا نفهمها . أكيد ! كلانا عضو في هذا النادى ! . . (يضحك ثم يواصل بنبرة وحشية) اللعنة ، اللعنة عليهم ! عمل بسيط ! فيه النجاه وفيه خلاصنا . نصرعهم ونظل ندق أعناقهم حتى يلفظوا أنفاسهم ، نضربهم بالرصاص ، بالحديد . أكيد ! هل تملك الشجاعة . ألم يضعوك في قفص للفرجة عليك ، هل تود أن تأخذ بثأرك منهم ؟ هل تريد ان تنهى حياتك بطلا ، بدلا من موتك البطىء في هذا القفص ؟ (الغوريلا يزأر زئيرا فيه تأكيد للإيجاب . يانك يواصل بنوع

من الانتصار الوحشي)

أكيد ! أنت نظامي . تصمد حتى النهاية . أنا وأنت — أليس كذلك ؟ — كلانا عضو في هـــذا النادى . دعنا نقوم بهجمة أخيرة تخلعهم مـــن مقاعدهم : سيضطرون بعدها إلى صنع أقفاص أشد صلابة من هذه ، (الغوريلا يعالج القضبان بعنف ، مزمجراً ، ويقفز على قدم ثم على أخرى . يانك يستخرج طفاشه من تحت معطفه ويكسر بها القفل الذي على باب القفص فينفتح الباب) مع الاعتذار للأمور الحديقة . أخرج من القفص ودعنا نتصافح سآخذك في نزهة إلى الشارع الخامس بنيويورك . سنزيلهم من على ظهر البسيطة . ونغنى مع الفرقة العازفة ، تعال يا أخى . (يخرج الغوريلا مـــن قفصه متجهاً إلى يانك وينظر إليه ،يانك يستمر في لهجته الساخرة ، ماداً يده) صافحنى . القبضة السرية لأعضاء تنظيمنا (شيء ما . . ربما هو استمرار يانك في السخرية يغيظ الغوريلا فيقفز ويلف ذراعيـــه الهائلتين حول يانك ويحتضنه حضنة قاتلة ، تنقصف منها عظام صدره وتنطلق من يانك صرخة مـــع شهقة ، ما تزال ساخرة) حيلك ! لم أطلب منك أن تقبلنى (الغوريلا يدع الجسم المهشم يفلت إلى الأرض ويقف عند رأسه متردداً مفكراً ، ثم يلتقطـــه ويلقى به إلى داخل القفص ويغلـــق الباب وينسل يساراً مصدراً صوت ضعيف ينذر بالخطر فـــى

الظلام . صخب مرتفع آت من الأقفاص الأخـــرى وهو صوت همهمات القردة الخائفة . ثم يتحرك يانك وهو يئن ، ويفتح عينيه . ويعقب ذلك صمت . يتمتم يانك بشكل يرثى له) يجب أن يأتوا له بـــ زيبسكو Zybszko ليكـــون نداً له . اعترف بأنه غلبني وانني قد انتهيت . حتى هو لم يعتقد أنني أنتمي (ثم يعقب ذلك يأس مفاجيء عنيف) إلهي ، إلى أين أتجه ؟ أين مكاني في هذا العالم ؟ أين هو المكان الذي يناسبني (وفجأة أيضاً يكبح نفسه) آه ! يا له من جحيم ! لا ترتعد ! فاهم ! لا تخـــاذل ولا تهافت ! فاهم ؟ تموت وأنت على قدميك . (يقبض بقوة على قضبان القفص ، ويرفع نفسه لينهض على قدميه ، ويتلفت حواليه مشدوهاً ويتكلف ضحكة [illegible] مثل نبرات نابح في سرك) سيداتي ! سادتي ! خطوة إلى الأمام لتنظروا إلى الوحيد الأصلي . . الغوريلا (صوته يضعف) من غابات الـ . . . .
(ينهار كومة على الأرض ويموت . . تنطلق القردة في عويل من الغمغمات هنا ، أخيراً ، ربما وجـــد الغوريلا الكبير مكانه) .

(ستار)